الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الفلسفة

فلسفة الطب عند المسلمين
أبي بكر الرازي أنموذجا

مذكرة مكملة من مقتضيات نيل شهادة الماستر في الفلسفة تخصص: فلسفة عامة.

إعداد الطالبة:
ضيف الله جميلة.

إشراف الأستاذ الدكتور:
بورنان خيرة

السنة الجامعية: 2025/2024

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2025

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي (ة) ادناه :

السيد(ة): سيف الله حيلة

الصفة (طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالب

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 207859639

الصادرة بتاريخ: 10/05/2022 عن دائرة: بوسعادة

المسجل(ة) بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم:

تخصص: فلسفة عامة تحت رقم التسجيل:

والمكلف بإنجاز اعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه).

عنوانها: فلسفة الطب عند الحسن أبو بكر الرازي نموذجا

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه.

المسيلة في: 2025/06/02

امضاء المعني (ة):

02 جوان 2025
رئيس المجلس الشعبي البلدي
تفويض منه
رئيس الإدارة المحلية
امضاء سعدي محمد

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: فلسفة الطب عند المسلمين
أبو بكر الرازي نموذجا

إعداد الطلبة:

1- صبري الله حيلة رقم التسجيل:

2- رقم التسجيل:

القسم: فلسفة **الشعبة:** فلسفة **التخصص** فلسفة عامة

إشراف: أ.د. بورناح حنيفة **الرتبة:** أستاذ

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2024-2025 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وامضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة):

موافق
بورناح حنيفة

رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم

د. ارفيس علي

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي علم بالقلم ،علم الإنسان مالم يعلم والصلاة والسلام على رسول الله والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبفضله تتحقق الغايات ، الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا العمل المتواضع، وبلوغ هذه المرحلة من مساري الجامعي.

في هذا المقام لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم التقدير والإمتنان إلى أستاذتي المشرفة { بورنان خيرة } على ما بذلته من جهد ، وما قدمته من توجيهات قيمة وملاحظات علمية دقيقة ، كان لها الأثر في إخراج هذه المذكرة في صورتها النهائية ، فلها مني كل الشكر والتقدير و الإحترام .

أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى أساتذة شعبة الفلسفة الذين لم يبخلوا علينا بعلمهم ، وكان لهم دور كبير في تكويني المعرفي والمنهجي سنة دراسية كاملة .

لا يفوتني أن أخص بالشكر أفراد عائلتي الكرام ، وعلى رأسهم أبي الذي كان سندي الحقيقي ، وبدعاء والدتي ودعمها لنفسي والمعنوي طيلة هذه السنة .

أشكر كذلك كل من مد يد العون والمساعدة من زملاء وأصدقاء ، وكل من شاركني هذه الرحلة العلمية والإنسانية .

راجية من الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه، وأن يسهم ولو بشكل متواضع في إثراء المعرفة الفلسفية.

والله ولي التوفيق

إهداء

إلى من غرسوا في حب العلم

إلى من سهروا لأجلي وضحوا في صمت ليصل هذا العلم إلى مداه

إلى روح أبي الطاهرة رحمه الله وإلى أمي العزيزة نبع الحنان وسند الحياة

لكما أهدي ثمرة هذا الجهد عرفانا وتقديرا، فما كنت لأبلغ هذه المرحلة لولا دعائكما وتشجيعكما وصبركما

إلى أساتذتي الكرام الذين فتحوا لي نوافذ الفكر وأناروا لي طريق المعرفة فلكم مني كل الشكر والتعرفان

إلى من كان سندي وشريكي في هذه الرحلة زوجي العزيز الذي تقاسم معي مشقة الدراسة وكان دوما دائما مشجعا صبورا على غيابي وانشغالي مؤمنا بي في كل خطوة

لك أهدي هذا الإنجاز فأنت شريك النجاح كما كنت شريك الحياة

إلى ملذات كبدي أبنائيالأحباء " نهال، طه، إيلاف، أسيد وسعود"

الذين منحوني القوة والدافع للاستمرار وإن غبت عنهم كثيرا من أجل هذا العلم فليعلم أن هذا العمل كتب بأملا أن يكون مصدر فخر ذات يوما

وإلى كل من أحبني بصدق آمني بقدرتي

أهدي هذا العمل المتواضع راجية من الله

أن يكون بداية لمستقبل أفضل لي ولم أحب

مقدمة

لا شك أن الحضارة العربية الإسلامية حلقة هامة من حلقات الحضارة الإنسانية برمتها، حيث حفظت للعالم تراث الإنسانية في عديد المجالات، وفي القلب منها العلوم الفلسفية والعلوم الطبية، وكلاهما يتصل اتصالا مباشرا بالإنسان، لذلك لا نجانب الصواب أن قلنا أن الحديث عن علاقة الفلسفة بالطب أو العكس ليس من قبيل الترف العقلي أو ألاعيب العقل، بل هو حديث يعكس علاقة حقيقية بين مجالين معرفيين يتداخلان على المستوى الإبستيمولوجي (المعرفي) والمستوى الإيتيقي (الأخلاقي)؛ فالكثير من النظريات الطبية ذات طابع فلسفي كنظرية الأخلاط الأربعة، كما أن كثيرا من النظريات الطبية كذلك نقدت نقدا فلسفيا، وهذا ما يدخل تحت مسمى "فلسفة الطب" وهي وأن كانت فرعا جديدا شأنها شأن فلسفة العلوم، إلا أننا لا نعدم لها بدايات وأصول في الفكر الفلسفي والعلمي القديم ومنه الفكر الفلسفي الإسلامي، حيث الفيلسوف حكيما أي طبيبا وفيلسوفا في الوقت ذاته، بل الطبيب لم يكن ليكون كذلك ما لم يعرف الشيء الكثير عن الفلسفة وكذلك الفيلسوف كان لزاما عليه أن يكون ملما بالطب وعلومه، إيمانا منهم بأن الفلسفة طب العقول والنفوس، والطب علاج الأجساد.

وتظهر أيضا علاقة الفلسفة الطب بالفلسفة أو فلسفة الطب فيما صار يعرف اليوم بـــ "أخلاقيات الطب" حيث حاول علماء الطب المتفلسفين على إثر النتائج المترتبة عن التطبيقات السلبية للتقنيات الطبية، صياغة نظريات خلقية تضبط صناعة الطب وتوضح حدود المسؤولية الأخلاقية التي تقع على عاتق الطبيب. ولم يكن الحكماء الفلاسفة من اليونان والمسلمين على دراية بهذا الجانب، فخلفوا أدبيات تعتبر اليوم من الأصول المرجعية للبيوتيقا أو أخلاقيات الطب.

ولم تكن إنجازات الحضارة العربية الإسلامية مجرد نسخ أو ترجمة للفكر اليوناني بل فيها من الأصالة والابداع ما يفند دعاة المركزية الغربية الذين قصروا العلم كما الفلسفة على

العقلية اليونانية دون سواها. لقد كانت الحضارة العربية الإسلامية منفتحة على جميع العقول والمعارف، كما لم تكن مقصورة فقط على أبناء ديانة معينة أو جنس بعينه؛ بل شملت كل من عاش في كنفها مسلما كان أو غير مسلم، عربيا كان أو أعجميا؛ مما يعطي انطباعا بأنها حضارة كونية عالمية، إضافة إلى كونها حضارة علم وفلسفة، بل لم يكن هذان المجالان ـــــ رغم رفض البعض للفلسفة بوصفها علما دخيلا ـــــ منفصلان في البنية المعرفية في الفكر الإسلامي.

وأبرز من يصـــدق عليهم هذا الحكم الطبيب والفيلســـوف أبو بكر محمد بن زكريا الرازي(250هـ/864م ـــ 313هـ/925م)، الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ويعد واحدا من أهم وأعظم أطباء الحضارة الإسلامية في القرون الأربعة الأولى.

وبغية الاطلاع أكثر على ما قدمه هذا الفيلسوف في مجالي الفلسفة والطب، اخترنا الموضوع الموسوم بـ: "**فلسفة الطب عند المسلمين ـ أبي بكر الرازي ـ أنموذجا**".

وتتمحور الإشكالية الرئيسية لهذه المذكرة حول البعد الفلسفي في الطب عند أبي بكر الرازي، انطلاقا من فرضية أساسية تتمثل في: إمكانية وجود أصول إسلامية عربية لفلسفة الطب.

وقادنا البحث في هذا الموضوع إلى طرح الإشكالية التالية: **هل يمكن الاقرار بوجود فلسفة الطب في الفكر الفلسفي العربي الإسلامي بوجه عام وعند أبي الرازي بوجه خاص؟**

وقصد الإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا خطة منهجية تتضمن ثلاث فصول، ومقدمة وخاتمة.

- المقدمة، اشتملت على الإطار العام للموضوع، مع طرح الإشكالية، وعرض لخطة البحث،

- **الفصل الأول**، جاء تحت عنوان "**منزلة الطب في الحضارة العربية الإسلامية**"، تناولنا فيه مجموعة من العناصر، تتعلق بمفهوم الطب(لغة واصطلاحا)، والتطور التاريخي للمفهوم، عبر الحضارات القديمة(المصرية، بلاد الرافدين، اليونانية) والحضارة العربية الإسلامية
- **الفصل الثاني**، جاء تحت عنوان "**فلسفة الطب عند الرازي**"، وقد ركزنا فيه على معرفة مكانة الفلسفة في المنظومة المعرفة لدى الرازي، إضافة إلى تبيان مقومات وجود فلسفة الطب عنده، ومن ذلك دعوته إلى اعتماد المنهج التجريبي في دراسة القضايا الطبية، وقسمته الطب إلى نوعين: طب جسماني وطب نفسي روحاني.
- **الفصل الثالث**، جاء تحت عنوان "**أخلاقيات الطب عند الرازي**"، حاولنا من خلاله التعرف على دعوة الرازي إلى ضرورة تطويق الممارسة الطبية بالضوابط الأخلاقية.
- الخاتمة، ذكرنا فيها أهم النتائج التي أفضى إليها البحث.

ولقد اعتمدنا في معالجتنا لموضوع فلسفة الطب عند الرازي، على المنهج التحليلي حيث توقفنا عند آراء هذا الفيلسوف الطبيب.

ودفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع دوافع ذاتية منها الرغبة في الاطلاع عن كثب عن موقف الرازي من الفلسفة والطب، ودوافع موضوعية تتمثل في دحض وجهة نظر المؤرخ الغربي المشبع بعقيدة الانتماء الغربي للعلوم والفلسفة، التي ترى أن العلم كما الفلسفة ابداع غربي خالص لا ثر فيه للحضارات الشرقية بما فيها الحضارة العربية.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا البحث لم يتخذ شكله النهائي ،إلا بالاعتماد على مصادر الفيلسوف ومنها على وجه الخصوص: . بالإضافة إلى مراجع أخرى ذات صلة بالموضوع.

الفصل الأول

الطب في الحضارة العربية الإسلامية

أولا: تعريف الطب لغة واصطلاحا

1/ تعريف الطب لغة

جاء في (لسان العرب) لابن منظور في باب الطاء مادة طبب الطب، أن الطب: بطاء مثلثة هو علاج الجسم، والنفس، يقال: طَبَّهُ، طبّاً إذا داواه. وأصل الطب الحذق في الأشياء، والمهارة فيها، ولذلك يقال لمن حذق بالشيء وكان عالمًا به: طبيباً. وتستعمل مادة طب في اللغة بمعنى سحر فيقال: فلان مطبوب: أي مسحور. وهذا على سبيل التفاؤل، فإن العرب تطلق بعض الألفاظ الدالة على السلامة، وتستعملها فيما يضادها من باب الفأل، فسموا اللديغ سليماً، والمهلكة مفازة، تفاؤلاً بالسلامة والفوز، وهكذا هنا سموا المسحور مطبوبًا.[1]

وكتب الرازي في معجمه (مختار الصحاح) في فصل الطاء أن تعريف الطب لغة بـ(طبب) الطبيب العالم بالطب وجمع القلة أطبة والكثرة أطباء نقول منه طبيب يا رجل ـــ بالكسر ـــ طبا أي صرت طبيبًا والمتطبب الذي يتعاطى علم الطب والطب بضم الطاء وفتحها لغتان في الطب وكل حاذق عند العرب طبيب.[2]

والمعنى نفسه ورد في (المصباح المنير): طبَّه طبًّا ـــ من باب قتل ـــ داواه، وفي المثل: (اعمل عمل من طبَّ لمن حبَّ)، والاسم: الطِّب ـ بالكسر ـ والنسبة: طبي ـ على لفظه ـ وهي نسبة لبعض أصحابنا؛ فالعامل طبيب، والجمع أطباء... ويقال للعالم بالشيء، وللفحل الماهر بالضرب: طب وطبيب.[3]

نخلص من ذلك إلى أن للطب ـ في اللُّغة ـ عدة معان، بعضها من باب الأضداد، والذي يناسب المقام هنا: أن الطبيب هو العالم بالطب، المشتغل بالمداواة والمعالجة، والعمل الطبي هو المداواة والمعالجة.

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت ـ لبنان، 1955، مادة (ط ب ب)، ص454، 455.

[2]– محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دمشق، 1987، (باب الطاء) ص387.

[3]– الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت ـــــ لبنان، 1987م، (الطاء والباء وما يثلثهما)، ص139.

2/ تعريف الطب اصطلاحا:

اختلف الأطباء وأهل اللغة حول ثلاثة أقوالٍ في تعريف الطِبّ اصطلاحاً، وهي أقوالٌ وإن اختلفت في الألفاظ والعبارات إلا أنها متقاربةٌ في المعنى والمضمون، وهذه الأقوال هي: [1]

- علمٌ يُعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يعرض لها من صحةٍ وفساد، ويُنسب هذا القول لقدماء الأطباء ولابن رشد الحفيد.
- علمٌ بأحوال بدن الإنسان يُحفظ به حاصل الصحة ويستردّ زائلها، ويُنسب هذا القول لجالينوس وهو واحدٌ من قدماء الأطباء المبرزين.
- علمٌ يُعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصحّ، ويزول عن الصحة ليحفظ الصحة حاصلة، ويستردّها زائلة، ويُنسب هذا القول لابن سينا.

إضافة إلى هذه التعريفات وغير بعيد عن معناها يعرف ابن خلدون في مقدمته الطب بأنه: "صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية، مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها ، وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله للدواء".[2]

وبهذا فالطب ينقسم إلى قسمين: حفظ صحة موجودة، أو رد صحة مفقودة، فأما حفظ الصحة الموجودة فهو مراعاة حفظ الصحة في حال عافية البدن والنظر في عاقبته، لأن العاقل هو الذي يتدبر الأمر قبل الوقوع فيه، وأما رد الصحة المفقودة فهو معالجة الأبدان بالأدوية عند وقوع المرض.

---

[1]– محمد بن محمد المختار الشنقيطي، أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، المجلد 1 ، مكتبة الصحابة، جدة ـــ السعودية، ط2، 1994، ص 32، 33.

[2]– نقلا عن: عامر النجار، تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، دار المعارف، ط3، 1994، ص7.

3/ تعريف فلسفة الطب

فلسفة الطب هي فرع من فروع الفلسفة يُعنى بدراسة المبادئ والأسس النظرية التي يقوم عليها الطب، ويتناول الأسئلة العميقة حول طبيعة المرض، والصحة، والتشخيص، والعلاج، والعلاقة بين الطبيب والمريض.

- فلسفة الطب هي فرع من فروع الفلسفة التطبيقية، يهتم بدراسة وتحليل المفاهيم والأسس النظرية، والقضايا الأخلاقية والمعرفية والمنهجية التي يقوم عليها الطب وممارساته. تسعى هذه الفلسفة إلى فهم الطبيعة الحقيقية للمرض والصحة، وطبيعة العلاقة بين الطبيب والمريض، كما تتناول النقاش حول حدود العلم الطبي، ودوره في الحياة البشرية، وما إذا كان الطب علمًا موضوعيًا أم مزيجًا بين العلم والفن[1].
- فلسفة الطب هي مجال فلسفي يدرس الأسس المفاهيمية والمعرفية والأخلاقية التي يقوم عليها العلم الطبي. تهدف إلى تحليل مفاهيم مثل الصحة، المرض، العلاج، الجسم، والعلاقة بين الطبيب والمريض، كما تبحث في طبيعة المعرفة الطبية، وحدودها، وكيفية اتخاذ القرارات الطبية في ضوء القيم الإنسانية[2].

ثانيا: نشأة الطب وتطوره في الحضارات القديمة

إن الطب ولد في كنف الحضارات العظيمة التي ازدهرت في حوض النيل(الحضارة المصرية) ونهري دجلة والفرات(حضارة بلاد الرافدين) والبحر الأبيض المتوسط(الحضارة اليونانية) حيث خطا الطب خطوات واسعة في درب الوقاية والعناية والاستشفاء ولا نعرف تمام المعرفة مدى خاصية واستقلالية كل من هاتين الحضارتين المصرية والرافدية، كل ما

[1] – عبد الكريم، محمود .مدخل إلى فلسفة الطب، دار الفكر العربي، بيروت، 2012، ص 45.

[2] – عبد الرحمن، طارق، فلسفة الطب: المفاهيم والأسس، دار النشر الجامعي، ط1، القاهرة ، 2015، ص 22.

عرفناه أن طب هاتين الحضـــارتين كان له الأثر العظيم فيمن جاورهما وخاصـــة الحضـــارة اليونانية.

1/ الطب في الحضارة المصرية

المصـريون القدماء هم من أقدم الشـعوب التي مارسـت الطب ووصـلت فيه إلى مسـتوى رفيع، فالتشـــخيص والتحنيط والتشـــريح والجراحة من الأشـــياء التي بلغوا فيها براعتهم. وبدأ العصر الذهبي للطب المصري مع (تحوت) الذي كان يدعى اله الحكمة صاحب التصانيف الطيبة العديدة. أما أعظم أطباء العالم القديم فعلا فهو (ايمحوتب/ Imhetep) الذي عالج بنجاح شـــتى الأمراض الطفيلية التي كانت معروفة في زمانه، واشـــتهر باســـتزراع النبتات الطبية، وحفر الأســـنان وتتويجها بالذهب، ومعالجة الجروح والقروح وتجبير الكســـور. كما عالج أيضـا لدغ الثعابين بمراهم مستخلصـة من الزيت. وقد بلغ من تقدير المصـريين له أنهم رفعوه في العصور التالية إلى مقام الألوهية.[1]

وتمتع الطبيب المصري في العصر الفرعوني، وما تلاه، بمكانة رفيعة؛ حيث كان يُنظر إليه بكل وقار واحترام. وانقسم الأطباء إلى أربع فئات: [2]

الفئة الأولى: الأطباء الكهنة، وهم يجمعون بين معرفة النصـــوص الدينية والشـــعائر والعقاقير، وكانوا على جانب من العلم والخبرة، واعتبروا أنفسـهم وسـطاء بين المريض والرب الشـافي. **الفئة الثانية:** وهي فئة الطبيب، ويطلق عليه اسـم «سـنو»، ولم يميز الاسـم بين الطبيب العادي والبيطري في النصـوص، ويذكر هيرودوت بخصـوص طبقة الأطباء: «لكل مرض طبيب تخصـص فيه، بعضـهم متخصـص في العيون، وبعضـهم في الرأس، وبعضـهم في الأسـنان، وبعضـهم في الأمعاء، وبعضـهم في الأمراض السـرية». **الفئة الثالثة:** هي الخاصـــة بالمســـاعدين، وهناك ما يدل على وجود ممرضـــين، واختصـــاصـــيين في الأربطة

[1]- عامر النجار، تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، ص18

[2]- عامر النجار، تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، ص18

والتدليك، وكان يطلق عليهم اســـم «اوت»، أي «مســـؤول الأربطة»، وكان البعض منهم للأحياء والبعض الآخر للموتى (أي التحنيط). **الفئة الرابعة:** وهي الأطباء البيطريون، وقد عثر في اللاهون (بالقرب من الفيوم) على مجموعة من البرديات الطبية البيطرية لعلاج عيون العجول والكلاب وأسنانها.

وقد وُزع الأطباء في مصر القديمة على دور ومؤسسات، منهم أطباء البلاط الفرعوني ودور الحكومة، والجيش. وكان الطبيب الملحق بالقصر يقوم بعلاج الفرعون وعائلته. وارتبط الطب المصـــري القديم ارتباطا وثيقا بالمعابد، فكان هناك عدة آلهة لشـــفاء الأمراض، وكان الكهنة هم الذين يقومون بتطبيب المرضـــى، ويتقاضـــون رواتب على ذلك من دخل المعابد، وكان المعبد من الأهمية بمكان حيث ألحقت مدارس الطب بالمعابد الكبيرة وكان يدرس فيها العلوم الطبية والنباتات الطبية. وكذلك ألحق بالمعابد مع المدارس الطبية أماكن للعلاج و التداوي. وقد عُرف عن قدماء المصريين أنهم كانوا على علم وبصيرة في فن التحنيط، وكان لهم باعٌ في تشـــخيص المريض وعلاجه، وعرفوا أيضًـــا الطرق الجيدة لمنع الحمل والذبحة الصدرية وأمراض المعدة والإسهال وانحباس البول، كما عالجوا الكسور والأسنان.[1]

وقد دوَّن قدماء المصريين معارفهم ومعلوماتهم الطبية على أوراق البردي، ومنها: **بردية برلين*** و**بردية جورج ايبرس**** وتختص بالطب الباطني والعقاقير الطبية، وتشـــريح جســـم الإنسان، والتعرف على وظيفة القلب وثمة برديات أخرى منه ما يخص أمراض النساء(بردية

---

[1]– زاهي حواس، الطب في مصر القديمة، صحيفة الشرق الأوسط.https://aawsat.com/home/article/722376

* **بردية برلين:** تعود بردية برلين إلى الأسرة التاسعة عشر 1300 ق ويبلغ طولها 5. 16 متر وعرضها 20سم. وجدت في الحفائر بجوار أهرام ســـقارة جنوب القاهرة بالقرب من "منف" عاصـــمة مصـــر القديمة، وقد أهديت إلى متحف برلين عام 1886م. وقد ذكر جالينوس بردية برلين في كتبه عند ذكره للعقاقير التي يستعملها قدماء المصريين.

** سميت باسم العالم الألماني المختص بالآثار والذي وجدها سنة 1822م، وقد حفظت في إحدى الجامعات الألمانية (جامعة لايبزيغ)، ويعتقد أنها كتبت في زمن النبي موسى عليه السلام في منطقة هليوبوليس. يبلغ طولها عشرون مترا وعرضها 30سم وتحتوي 811 وصفة طبية، وقد ضمت ما يناهز 700 دواء، ويلاحظ هنا وجود مقادير في تركيب الدواء وهو ما كان مفقودا عند البابليين والمقاييس هنا حجمية وتسمى ال RO وهي تساوي 15مل تقريبا أو ملعقة كبيرة بلغة اليوم، كما يلاحظ توجيهات بتكرار استخدام الوصفات الواردة في البردية لمدة أربعة أيام.

كون)، ومنها ما يختص بالأمراض الجراحية(بردية ســـميث).[1] وما تزال كثير من متاحف العالم تحفظ بين كنوزها بالكثير من البرديات التي تكشـف لنا من ألوان الطب التي مارسـوها والأمراض التي خبروها.

2/ الطب في حضارة بلاد الرافدين

تدل الشـــذرات القليلة التي عثر عليها العلماء عن طب بلاد ما بين النهرين على أنه طب تيوقراطي يجمع بين الأدوية والتمائم، ويقول بالرقى والتعاويذ . فالإلهة هي مصـــدر الخير والشـــر، والأمراض إنما هي دلالات على ســـخطها ومقتها، وعقابا إلاهيا على ذنوب ارتكبها المريض، كما يمكن أن يصـدر المرض عن الشـياطين والعين الشـريرة. ولأن الآلهة هي مصدر المرض فإن الطريق الوحيد للشفاء هو الصلاة والدعاء وتقديم القرابين لإرضائها، واســتعمال البخور والعقاقير المضـــادة للشـــياطين، أو بحمل التعاويذ والطلاســـم التي تمنع الإصـــابة بالعين مثلا. وعلى هذا النحو كان في حضـــارة وادي الرافدين ثلاثة مذاهب للمعالجة.[2]

1- المعالجة بالنصح(الطب الوقائي)

2-المعالجة بتشـــخيص المريض ووصـــف الأدوية النباتية والحيوانية والمعدنية(اطب المزاجي الطبيعي)

3- المعالجة بالسحر والطلاسم (الطب النفسي)

ولعب حمورابي أشـــهر ملوك بابل (1793 -1750 ق. م) دورا بارزا في مجال الطب فقد وضـع أول تشـريع طبي عرفه التاريخ حدد القوانين الخاصـة بممارسـة مهنة الطب وذكر في وثائقه مئات الرقم الطبية التي تعني بالعلوم الطبية. وقد حَد قانون حمورابي أجور الأطباء وَفْق مرتبة المريض الاجتماعية ونوع العملية ذاتها؛ فإذا كان المريض من الطبقات الفقيرة

[1]- راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، (مرجع سابق)، ص11.

[2]- المرجع نفسه، ص14.

نقص الأجر لكي يتناسب مع فقره، وإذا أخطأ الطبيب أو أساء العمل، كان عليه أن يؤدي للمريض تعويضا، بل لقد بلغ الأمر في بعض الحالات التي يكون فيها الخطأ شنيعًا أن تُقطع أصابع الطبيب حتى لا يُمارس خدماته عقب هذا الخطأ مباشرة. (الأصول الشرقية للعلم اليوناني).

2/ الطب في الحضارة اليونانية

كان للطب في الحضارة اليونانية القديمة دور مهم، حيث تطور نظام طبي يعتمد على الملاحظة والتجربة، وتجاوز الاعتماد على الأسباب الخارقة للطبيعة في تفسير الأمراض حيث اعتقد الأطباء اليونان في البداية أن القوى العلوية هي التي تتحكم بجسم الإنسان, وظنوا أن الأمراض عبارة عن نوع من الأجسام السماوية يتساقط رمادها على الأرض فيعم البلاء والمرض لذا من المنطقي أن يقرن العلاج بقوى علوية أو آلهة، ومن الغريب أنهم كانوا يسمون هذه الآلهة بأسماء من بزغ اسمه من العلماء والأطباء ومن أشهر هذه الأسماء: أبولون Apollon، قالوا أنه أول حكيم تكلم في الطب وأول من استنبط حروف اللغة الإغريقية, جاء بعد موسى عليه السلام، هايجى Hygie معبودة اليونان, إلهة الصحة وقيل عنها أنها ابنة إله الطب بلوتون Ploton، إله الموت والمرض. وكان العلاج في تلك الفترة بالدرجة الأولى نفسي, روحاني مع استخدام بعض الأدوية والعقاقير. ومن أشهر أطباء هذه المرحلة اسكولابيوس[1].

وصل الطب الإغريقي ذروة تاريخه الزاهر في القرن الخامس ق.م وهو عصر ابقراط Hippocrates (463-365) وكان أبقراط ضليعا في العلوم الطبية فأدخل الطب في إطاره العلمي مستعملا الفحص السريري والاستنتاج المنطقي السليم. ولقب العرب أبقراط بـــ (أبي الطب) لكثرة ما أدخله في الطب من علوم, فقد فصل الطب عن الكهانة والممارسة اللاهوتية ووضع له أسسا قوية مبنية على العلم معتبرا المرض عارضا طبيعيا وليس من فعل

[1]- عبد الرحمن مرحبا: الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، منشورات عويدات، باريس ـ لبنان، ط2، 1988،98

الشياطين أو الأرواح الشريرة وأن ظواهر المرض ما هي إلا رد فعل طبيعي لمقاومته فارتفاع الحرارة دليلا على مقاومة الجسم للمرض والتعرق دليل، الشفاء كما اهتم بالتجربة والملاحظة فاعتبر الطب قياسا وتجربة. وهو أول من أعطى تفسيرا منطقيا عن المرض بناء على نظرية الأخلاط الأربعة(الماء، التراب، الهواء النار)، فأسباب المرض قريبة من (فساد الأخلاط) أو بعيدة من البيئة والأطعمة.

ومن نصائحه وإرشاداته: استهينوا بالموت فإن مرارته في الخوف منه، كل عليل يداوى بعقاقير أرضه، الإقلال من الضار خير من الإكثار من النافع، أنا وأنت والعلة ثلاث فإن أعنتني بالقبول لما تسمع صرنا اثنين وانفردت العلة وتغلبنا عليها، للقلب آفتان هما: الفم والهم، الأمن مع الفقر خير من الغنى مع الخوف... كما ألف عددا كبيرا من الكتب قيل أنها بلغت ستين مؤلفا أشهرها: (المقالات في الطب). كذلك قام بنشر صناعة الطب وكسر نطاق السرية من حوله وعلّمه للمحليين فضلا عن الغرباء، وكوّن بذلك أول مدرسة اشترط فيها لمن يترشح لتعلم الطب صفات لا بد من توفرها.[1]

أهمل الطب بعد أبقراط حتى عهد الملك الاسكندر الأكبر الذي حاول إعادة الحضارة لقوتها من جديد، فتم التخطيط لإنشاء مدينة الإسكندرية في سنة 333 ق. م وأنشئ في الإسكندرية مدرسة للطب ومن مميزاتها أنها مثلت العهد التجريبي في الطب وكانت مركز إشعاع للعلوم الطبية. وتخرج من هذه المدرسة أشهر العلماء وهو جالينوس كلوديوس Galen. Galinus (200 ـــ 130ق. م) الذي لمع كطبيب حاذق وأستاذ لا نظير له في التشريح وكان من بين من عالجهم وشفوا الإمبراطور مرقص أوريليوس. بقيت مؤلفات جالينوس وآراؤه المرجع الوحيد للأطباء خمسة عشر قرنا ولم يكن أحد ليجرؤ على أن يطعن في كتبه وآرائه ويرجع ذلك للطريقة التي ابتدعها في التشريح المرضى وفي العلاج، ثمّ للمنطق الذي حكم طريقته ومدى الاحترام والتبجيل لسلطته الطبية وقد كان يعتبر نفسه في

[1]– عبد الرحمن مرحبا: الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، ص100، 103..

مهمة لتكملة وتنظيم العمل الذي جاء به أبقراط . وكان جالينوس يقوم بتحضير أدويته بنفسه لأنه كان شديد الإيمان بفعالية الأدوية التي يختارها ويحضرها بعناية وقد قام بوصف 473 دواء بمصـــادرها المختلفة النباتية والحيوانية والمعدنية. وألف جالينوس الكثير من المؤلفات بشكل مقالات أهمها (كتاب التشريح الكبير) وهو أهم كتبه في علم التشريح إذ بقي المرجع الأساسي لعدة قرون.[1]

ثالثا: الطب في الحضارة العربية الإسلامية

1/ منزلة الطب عند المسلمين

لاشك ان الحضارة العربية الإسلامية هي جزء حي في كتلة الحضارة العالمية التي أثرت فيها وتأثرت بها ، فقد امتدت دولة الإسلام من حدود الصين إلى جنوب فرنسا، ورافق حركة الفتوحات الإسلامية استفادة العرب من فلسفة اليونان، ومن ثقافة الصين والهند، مع ما عندهم في ملامح فكرية عربية أصيلة فهضموا هذه الحضارات المختلفة وتولوها بالرعاية والبحث والتصحيح والتهذيب وأضافوا إليها الكثير من أفكارهم وابتكاراتهم، حتى بلغت غاية نضجها واكتمالها، وتميزت بملامح جديدة. وانطلقت الحضارة العربية والإسلامية في إنجازاتها العلمية العظيمة في القرون 7–10 م من ترجمة العلوم القديمة من هندية وفارسية ويونانية، من اللغات السريانية والفارسية والسنسكريتية واليونانية إلى العربية، التي بلغت ذروتها في العصر العباسي، وخاصة في عهد الخليفة هارون الرشيد، وعند ولديه الأمين والمأمون. ومن أبرز العلوم التجريبية التي أسهمت فيها الحضارة الإسلامية بالنصيب الأوفر هو علم الطب، ذلك العلم الذي يهتم بصحة الإنسان ويضع له طرق الوقاية والعلاج من الأمراض.

وكان الطب قبل الإسلام معتمدا على بعض التجارب البسيطة بالإضافة إلى العادات والتقاليد، فعندما يمرض شخص ويتألم من مرضه كانوا يصفون له بعض العلاج أو يلجئون إلى الكهنة والعرافين، وذلك بسبب معتقداتهم التي تقول أن سبب المرض هو الأرواح الشريرة

[1]– عبد الرحمن مرحبا: الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، ص100، 103.

لا يتعافى المريض منها إلا بالتمائم واللجوء إلى الشـــعوذة. ولم تكن التجارب أو الوصـــفات الطبية سـائرة على قوانين طبيعية ولا على توافق الأمزجة مع عقاقير وأعشـاب معينة، وكانوا يعتمدون على الكي بالنار كخطوة أســـاســـية في المعالجة حتى أن الكي يكاد يكون الدواء الوحيد في معالجة بعض الأمراض المستعصية.[1]

وعندما جاء الإسلام حارب الجهل والشعوذة، كما حارب الخرافات الطبية التي كانت تعالج الأمراض عن طريق اللجوء إلى التمائم، والتنجيم، والعرافين، والسـحرة. لقد أرشـد النبي صـــلى الله عليه وســـلم إلى قاعدة مهمة في تحرير العقل العلمي من ســـيطرة عقلية الخرافة الكهنوتية، فقال صـلى الله عليه وسـلم : «أنتم أعلم بأمر دنياكم» رواه مسـلم. وقال صـلى الله عليه وسـلم : «لكل داء دواء» رواه مسـلم. وقال: «تداووا فإن الله لم يضـع داء إلا وضـع له دواء غير داء واحد؛ الهرم». رواه أبو داود. وعلى ضـــوء هذه القواعد النبوية التي حررت العقل من الخرافات والأوهام سـارت الحضـارة الإسـلامية. وكان من الأطباء الذين عملوا في صناعة الطب مع ظهور رسالة الإسلام الطبيب الحارث بن كلدة الثقفي، والنضر بن الحارث بن كلدة الثقفي، وابن أبي رمثة التميمي الذي كان طبيباً على عهد الرســـول العربي الكريم، بالإضافة إلى غيرهم من الأطباء الذين زاولوا مهنة الطب وأعمال اليد وصناعة الجراحة.[2]

وقد كان لوصـول التراث الطبي اليوناني إلى العرب في العصـر الإسـلامي أثر كبير في تطور العلوم الطبية عند العرب، فلم يقف المسلمون في ممارسـة الطب على ما روي في السـنة المطهرة من أسـاليب الطب النبوي، بل تعمق الأطباء المسـلمون في دراسـة الطب اليوناني وغيره ونشـطوا نشـاطا واسـعا في ترجمة كل ما وقع تحت أيديهم من كتب الطب القديمة وأفادوا منها وطوروها على أُسس علمية جديدة. وتعرف الأطباء المسلمون على الطب اليوناني من خلال مدرسـة الإسـكندرية الطبية وما بقي فيها من تراث علمي يوناني ومؤلفات

[1]– عامر النجار، تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، ص52، 53.

[2]– المرجع نفسه، ص68.

لعلمائهم وبشكل خاص الكتب التي ألفها جالينوس حيث جمعوها وقاموا بتحقيقها وشرحها ثم لخصوها في ستة عشر كتاباً، بالإضافة إلى مؤلفات أخرى لعلماء وأطباء آخرون قاموا بترجمتها وشرحها. كما لعبت مدرستا الرها وجنديسابور أهمية كبيرة في النهضة الطبية العربية والإسلامية، وقد برز نشاط هذه المدارس الطبية بعد الفتوحات الإسلامية؛ حيث نشطت حركة الترجمة والتعريب من اللغة السريانية إلى اللغة العربية، وهذا ما ساعد على وجود مكتبة طبية باللغة العربية كانت الأساس الذي اعتمد عليه التقدم الطبي في العصر الإسلامي.[1]

ولم يقتصر إسهام الحضارة الإسلامية في مجال العلوم الطبية على اكتشاف الأمراض المختلفة، ووصف الأدوية المناسبة لعلاج هذه الأمراض، بل اتسع وامتد إسهام المسلمين في الحضارة الطبية حتى بلغ مرحلة التأسيس لمنهج تجريبي دقيق يتفوق ويسمو على مناهج المدارس الطبية التقليدية التي كانت سائدة قبل الإسلام، كالصينية والهندية والبابلية والمصرية واليونانية والرومانية بل والمدرسة العربية قبل الإسلام، فعلى الرغم مما وصلت إليه هذه الحضارات القديمة من مقدرة فائقة على اكتشاف الأمراض وبعض علاجاتها، فإن سيطرة كهنة المعابد والأديرة في هذه الحضارات القديمة على مهنة الطب قد أدخلت فيها كثيرًا من الخرافات والأوهام المتعلقة باعتقاد سيطرة بعض الأرواح الشريرة على جسد الإنسان مما يسبب له معاناة المرض والوجع، ومن ثم فقد مزجوا بين العلاج بالمفردات الطبية والطلاسم والتعاويذ السحرية.

تطور الطب في العصر العباسي حتى صحح كثيرًا من المفاهيم المغلوطة التي كانت منتشرة في المدارس الطبية السالفة. وتكاثر الأطباء في هذا الميدان، حيث وصل عدد أطباء بغداد إلى 860 طبيبا تم امتحانهم لمنحهم الإذن في التطبيب و ممارسة الطب وكان ذلك في زمن الخليفة العباسي المقتدر بالله في أوائل القرن الرابع للهجرة، وهذا بالإضافة إلى

[1]– حكمت نجيب عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، جامعة الموصل، 1977، ص20، 21.

الأطباء المشـــهورين ومن كان من الأطباء في خدمة الخليفة. واتســـم المنهج الإســـلامي بالانفتاح على الثقافات والحضـــارات الأخرى وأفاد منها وطور فيها، والفريدة التي تميز بها هذا المنهج في الطب وفي سـائر العلوم التجريبية أنه لم يجعل الطب – تعلمًا أو ممارسـة – حكرًا على العرب أو المسلمين وحدهم بل فتح باب العلم وميدان الممارسة الطبية لكل العلماء من شـتى الملل والأديان الذين عاشـوا في كنف المسـلمين، فقد بلغ عدد الأطباء النصـارى الذين عملوا في خدمة الخليفة العباســـي المتوكل في أواســـط القرن الثالث للهجرة نحو 56 طبيبا، وظهرت أسـماء مسـيحية ويهودية بارزة في علم الطب مثل قسـطا بن لوقا البعلبكي، وأبي نصـر المسـيحي، وهبة الله بن جميع الإسـرائيلي. وتبوأت عائلة آل بختشـيوع النصـرانية التي كانت تحترف الطب لمدة ثلاثة قرون مكانـة رفيعـة في دولـة بني العباس، وكـان من أشهر علمائهم الطبيب جبرائيل بن بختشيوع الطبيب الخاص لجعفر البرمكي أحد كبار الدولة في عهد هارون الرشيد.[1].

2/ أبو بكر الرازي الطبيب الفيلسوف

هو محمد زكريا أبو بكر الرازي، ولد في الري* جنوبي طهران بفارس نحو سنة 250 هـ 864م، نشـــأ الرازي في الري وكانت عاصـــمة الإقليم المســـمى بلاد الجبال في بلاد فارس والذي كانت تحكمه أســـرة بني بوية، وكانت مدينة عظيمة بها مجالس ومدارس وحرف ومصـــانع زاخرة بالأدباء والأئمة والزهاد، وكان الكثير من ملوك بني بوية أدباء مثقفين ثقافة واسعة وقد خدموا الأدب والعلم خدمة كبيرة.

نشأ الرازي في هذه البيئة الذي كان منذ صـباه ميال للعلوم الأدبية وقول الشـعر وتعلقه البارز بالموســـيقى فقد كان يمضـــي أغلب وقته في العزف على العود، حتى تفوق في ذلك وعرف وتميز بجمال صـوته، وإتقانه الغناء والعزف. ولكن سـرعان ما بدأ يعتزل إقباله على

[1] - حكمت نجيب عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، ص43، 44.

* الرى: المدينة التاريخية التي فتحها العرب في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولد فيها كل من هارون الرشيد والمهدي بن المنصور وتقع على بعد خمسة أميال جنوب الشرقي من طهران.

العزف والغناء ودخوله عالم الطب والكيمياء، وبذلك تفوق وقدم للبشـــرية تراثا مازال محل تقديره بالمجالس العلمية في الشـــرق والغرب. فإنه حاول الانتقال من الموســـيقى إلى الطب وذلك باكتشـافه أن نغمات الموسـيقى الجميلة لها تأثير قوي في شـفاء المريض. وأثناء بحثه في هذا الموضـوع اكتشـف أن بعض الحالات لا تجدي معها الموسـيقى كعلاج، وهي تحتاج إجراء جراحة ما، فبدأ بدراسـة علوم الجراحة وتشـريح الإنسـان عكف الرازي على دراسـة كتب الطب والفلسفة وقرأها قراءة باحث مدقق، وبلغ فيها شأن عظيم ولم يكن يفارق القراءة والبحث و النســـخ ، فكان جل وقته موزع بين القراءة والكتابة وإجراء التجارب، حرص كثيرا على القراءة وواظب عليها خاصـة في المسـاء، فعرف بذكائه الشـديد وذاكرته العجيبة فكان يحفظ كل ما يقرأ ويسمع فاشتهر بذلك بين أقرانه.[1]

انتقل الرازي إلى بغداد حيث تلقى علومه وأمضـــى حياته هناك، فقد عاش أبي بكر الرازي في العصـر العباسـي الثاني، وارتبط بشـخصـية كان لها الأثر الكبير في توجيه الحركة العلمية، والنهوض بها، هو المنصـور بن إسـحاق أحد ملوك الدولة السـامانية، وهي دولة من الدول الإسـلامية التي كانت قد اسـتقلت عن الخلافة العباسـية وبحكم الصـداقة القوية التي كانت تربط الرازي بالمنصور، ألف كتابا باسمه وأهداه إياه والذي يعد من أشهر الكتب الطبية واسماه "المنصوري".[2]

ولقد قيل أن الرازي كان أول أمره صـــيرفيا، وإن دراســـته للطب بدأت بعد أن جاوز الأربعين من عمره، قرأ الطب على يد الحكيم أبي الحســـن علي بن ربان الطبري صـــاحب فردوس الحكمة وقرأ الفلسـفة على يد البلخي، لكنه كان طبيب أكثر مما هو فيلسـوف، حتى ســـماه أهل زمانه بجالينوس العرب.[3] إذ قال الرازي: " فأما محبتي للعلم وحرصـــي عليه

---

[1]– موسوعة المعارف (المجلد الرابع)، ص 212.

[2]– راجي عنايت، أبو بكر الرازي أبو الطب العربي ومؤسس علم الكيمياء الحديثة" ، المؤسسـة العربية للدراسـات والنشـر، بيروت، ط1، 1976، ص 16.

[3]– خضر عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، ص 202.

واجتهادي فيه فمعلوم عند من صحبني وشاهد ذلك مني، فلم أزل منذ حداثتي إلى وقتي هذا مكبا عليه حتى أنني متى عرفت عن كتاب لم أقرأه أو رجل علم لم ألتق به، وقد بلغ من صبري واجتهادي... وبقيت أجمع المعرفة خمس عشرة سنة، حتى أصبت بألم في عضلاتي يدي يمنعاني الآن من القراءة والكتابة وبالرغم من هذا لم أتوقف عن طلب المعرفة، فأستعين بمن يقرأ ويكتب لي"[1].

ورغم هذا النجاح الذي حققه والمداومة على البحث والدراسة لم ينس فضوله القديم حول الأدوية والعقاقير، التي كان يشاهدها عند أحد أصدقائه الصيادلة، فأخذ الرازي يدرس الكيمياء مدركا العلاقة القوية بين الطب والكيمياء، وقد اتبع غيره من العرب الذين سبقوه، والذين كانوا قد أدركوا هذه العلاقة وتوسعوا في التخصصات العالية وإذ كانوا يرون أن هذه العلوم تتعدى بعضها البعض، ولكي ينبغ الطبيب أو الحكيم الفيلسوف عند الرازي أنه لابد أن يجمع في نبوغه بين أكثر من علم واحد، كأن يجمع بين الطب والفلسفة والكيمياء والفلك وغيرها من العلوم والإلمام بها والإحاطة بكثير من دقائقها. وكان من نتيجة هذا الاهتمام العميق بعلم الكيمياء، إتمام الرازي لكتابه الشهير سر الأسرار" الذي يتضمن شرحا مفصلا لمنهجه في البحث والتجربة، ذلك المنهج الذي يقوم على أساس التفكير العلمي الدقيق فهو يبدأ بوصف المواد التي اشتغل بها، ثم يتحدث عن وصف الآلات والأجهزة مع تسجيل للعمليات الكيميائية الشائعة.[2] وفي هذه الفترة من حياته توصل الرازي إلى العلاقة بين الكيمياء والطب، فكان يقول أن الشفاء يتم بإثارة تفاعل كيميائي ناجح في الجسم. كل هذا أدى بالرازي على فقدان بصره من كثرة القراءة، ومن إجراء التجارب الكيميائية في المعمل.

ومن المفارقات أن الرازي تعلم الطب كبيرا وهو في العقد الثالث من عمره، وعمل في بيمارستان بلده الري، وجاء إلى بغداد ثم أشرف على بناء البيمارستان العضدي. وفي قصة

[1]– عبد اللطيف محمد العبد، أصول الفكر الفلسفي، مكتبة أنجلو المصرية، ط1، 1977، ص 26.

[2]– عبد اللطيف محمد العبد، أصول الفكر الفلسفي، ص 28.

بناء هذا المستشفى الكبير في بغداد ما يُدلل على ذكاء الرازي، حيث سأله عضد الدولة الأمير البويهي عن أفضل المواضع لبناء هذا المستشفى، فأمر الرازي "بعض الغلمان أن يُعلق في كل ناحية من جانبي بغداد شقة لحم، ثم اعتبر التي لم يتغيّر فيها اللحم بسرعة فأشار بأن يبنى في تلك الناحية، وهو الموضع الذي بني فيه البيمارستان"، وهذا دليل على ذكاء الرازي، فهذا المكان كان أفضل مواضع بغداد في نقاء الهواء وجودته واعتداله، وهي عوامل غاية في الأهمية لعلاج المرضى أصحاب المناعات الضعيفة. وبذلك تم بناء أكبر مستشفى في بغداد، وضم جماعة من أكفئ الأطباء المرموقين آنذاك، ويترأسهم أبو بكر الرازي في إدارة المستشفى العضدي.[1]

عندما أحس الرازي بعدم قدرته على مواصلة عمله في إدارة المستشفى، أنهى عمله في بغداد وعاد إلى مسقط رأسه بعد أن فقد بصره وذلك من كثرة عكوفه على القراءة والكتابة في ضوء الفتايل، وبقي يضعف حتى غشيت وأظلمت عيناه، بسبب ماء نزل عليهما أفقدهما قوة الإبصار، ولم يعش الرازي طويلا بعد مرضه هذا حيث توفي ببغداد في الخامس من شعبان عام (313هـ) الموافق لـ 25 أكتوبر عام 925م.

نشأ الرازي محبا للعلم، مشهورا بالذكاء والفطنة(*)، قال فيه القفطي في "تاريخ الحكماء": "محمد بن زكريا أبو بكر الرازي طبيب المسلمين وأحد المشهورين فِي علم المنطق والهندسة

---

[1]– راجي عنايت ، علماء العرب (أبو بكر الرازي)، لبنان، ط1، 1976، ص32.

(*) مما يدل على ذكائه أن غلاما من بغداد قدم الري وكان ينفثُ الدم من فمه ولا يعرف مرضه، وكان لحقه ذلك في طريقه، فاستُدعي أبو بكر الرازي الطبيب المشهور بالحذق، صاحب الكتب المصنفة، فأراه ما ينفث ووصف له ما يجد، فأخذ الرازي مجسّه، ورأى قارورته واستوصف حاله منذ ابتداء ذلك به، فلم يقم له دليل على أنه مريض سُل ولا قرحة، ولم يعرف العلة، واستنظر الرجل لينظر في الأمر، فقامت على العليل القيامة وقال: هذا أيأس لي من الحياة لحذق الطبيب وجهله بالعلة، فازداد ما به من الألم، فعاد الرازي إلى المريض فسأله عن المياه التي شربها في طريقه، فأخبر أنه شرب من مستنقعات وصهاريج، فعلم الرازي بشدة ذكائه أن عَلَقَة كانت في الماء وقد حَصَلَت في معدته، وأن ذلك الدم مِن فعلها. وقال له: إذا كان في غد جئتك فعالجتُك ولم أنصرِفْ حتى تبرأ، ولكن بشرط أن تأمرَ غلمانك أن يطيعوني فيك لما آمرهم، فقال: نعم؛ فانصرف الرازي فجمع ملء وعائين كبيرين من الطحالب فأحضرهما في غد معه فأراه إياهما وقال له: ابلع،

وغيرهما من علوم الفلسفة."وقد شهد عدد من المستشرقين الغربيين ببراعة الرازي، ودائما ما يصفونه بـ(Rhazes) ، قال عنه ستابلتون الإنجليزي بأنه "بقي بلا ندّ حتى بزوغ فجر العلم الحديث بأوروبا"، وعلقت مدرسة الطب بباريس صورة ملونة للرازي إلى جانب ابن سينا وابن رشد، وخصصت جامعة برنستون الأميركية أفخم ناحية في أجمل مبانيها لعرض مآثره.

ثانيا: أهم مؤلفات الرازي

إن ما يؤكد استحقاق الرازي اللقب الذي أطلق عليه (أبو الطب العربي) حصيلة الإنتاج العلمي الذي خلفه للإنسانية، لقد ترك الرازي مؤلفات كثيرة ما بين رسائل وكتب في كافة مواضيع العلوم الطبية في عصره، التي كان لها أكبر أثر في الارتقاء بهذا العلم وتطويره، وكانت له انجازات عديدة ومن أبرز تلك المصنفات:[1]

- كتاب برء الساعة.
- كتاب الحاوي.(*)

فقال: لا أستطيع، فقال للغلمان: خذوه فأنيموه، ففعلوا به ذلك، وطرحوه على قفاه وفتحوا فاه، وأقبل الرازي يدسّ الطحلب في حلقه ويكبسه شديدا ويسأله ببلعه ويهدده بأن يُضرب، إلى أن أبلَعه كارها أحد الوعائين بأكمله، والرجل يستغيثُ فلا ينفعه مع الرازي شيء، إلى أن قال المريض: الساعة أقذف "القيء"، فزاد الرازي في ما يكبسه في حلقه، فذرعه القيء فقذف، فتأمل الرازي قذفة فإذا فيه عَلقَة (ديدان)، وإذا هي لمّا وصل إليها الطحلب قربت إليه لتتغذى عليه وتركت موضعها، والتفت على الطحلب ونهض المريض معافى.

[1]– راجي عنايت، علماء العرب (أبو بكر الرازي)، ص 44.

(*) **يعد كتاب** الحاوي Continenes من أهم مؤلفات الطب العربي الإسلامي وأضخمها حجماً ، فهو أول موسوعة طبيبة لكافة المعلومات والعلوم الطبية المعروفة حتى وفاة الرازي في بداية القرن العاشر الميلادي ، جمع فيها الرازي كل الخبرة الإكلينيكية التي عرفها في مرضاه ، وفي نزلاء البيمارستانات (المستشفيات) . وهذا التأليف كان فتحاً جديداً في تاريخ تعليم الطب. ويتفق جميع المؤرخين القدماء على أن الرازي توفي قبل أن يُخرج هذا الكتاب ، ويرجع الفضل في إخراجه إلى ابن العميد أستاذ الصاحب بن عباد الذي طلبه من أخت الرازي، وبذل لها دنانير كثيرة، حتى أظهرت له مسودات الكتاب. فجمع تلاميذه الأطباء (منهم: يوسف بن يعقوب، وأبو بكر قارن الرازي) الذين كانوا بالري، حتى رتبوا الكتاب. ويعتبر كتاب الحاوي أضخم كتاب عربي وصل إلينا كاملاً، وهو مازال ضخماً غنياً بالمعلومات الطبية، لم يُسبر غوره، ولم يُدرس بدقة وتأصيل لكثرة ما تضمنه من أسماء الأدوية وصيدلية تركيبها، وأسماء الأطباء من العرب. وغير

- كتاب الجدري والحصبة.
- كتاب المنصوري في التشريح.
- كتاب الكافي في الطب.
- كتاب الكب الملوكي في العلل وعلاجها بالأغذية.
- كتاب منافع الأغذية ودفع مضارها.
- كتاب في القولنج.
- كتاب الفصول فيه بيان العلل التي تحتاج إلى طبيب يلازم المريض.
- كتاب صيدلة الطب.
- كتاب البهق والبرص.
- كتاب طب الفقراء.
- كتاب في هيئة القلب.
- كتاب النبض الكبير لجالينوس.
- كتاب الطب الروحاني.
- كتاب علل المفاصل والنقرس وعرق النسا.
- كتاب الحصى في الكلى والمثانة.
- كتاب من لا يحضره الطبيب.

العرب الذين أُخذ من مؤلفاتهم في هذا الكتاب. ولضخامة الكتاب بهذا الشكل، لم يقرضه طبيب من الذين أعقبوا الرازي، وكل ما فعله الممارسون من بعده، أن تداولوا صوراً مختصرة منه. وقد اشتهر الحاوي بذكر عدد كبير من الحالات السريرية التي تجاوز عددها المائة حالة. وهو موسوعة طبية اشتملت على كل ما وصل إليه الطب إلى وقت الرازي. ففيه أعطى لكل مرض وجهة النظر اليونانية، والسريانية، والهندية، والفارسية، والعربية، ثم يضيف ملاحظاته الإكلينيكية ، ثم يعبر عن ذلك برأي نهائي. ولذلك اعتبر "الحاوي" من الكتابات الهامة في مجال الطب التي أثرت تأثيراً بالغاً على الفكر العلمي في الغرب، إذ ينظر إليه عادة على أنه أعظم كتب الطب قاطبة حتى نهاية العصور الحديثة.

الفصل الثانـي

فلسفة الطب عند الرازي

أولا: مكانة الفلسفة عند الرازي

صـــلة الطب بالفلســـفة عند العلماء المســـلمين تبدو واضـــحة جلية، فقد كان الأطباء المسلمون يسمون بالحكماء، فالشيخ الرئيس ابن سينا فيلسوف وحكيم، وهو صاحب كتاب "القانون" في الطب وكتاب "الشفاء" في الفلسفة، وكذلك كان الرازي مضطلعا بعلم الفلسفة كما كان بارعا في الطب ومؤلف الكتب الجمة في مجال الفلســـفة والطب على حد ســـواء، يأتي على رأســـها كتابيه: "الحاوي" و"أخلاق الطبيب"، بل إن الرازي من بين الأطباء الذين حرروا الطب من النظرة اللاهوتية القائمة على الســحر مؤســسـا إياه على النظرة الوضــعية القائمة على المنهج العلمي.

وشكل بروز الرازي في مجال الطب منافسة خطيرة لابن سينا، مما أثار حفيظة الرازي، فأراد أن يبرز في ميدان الفلسـفة، فقد كان يبحث عن الحقيقة، ويجيد الجدل، ولا يأخذه طابع العنف أو الفحش، ويمتـاز الرازي بتفكيره المنطقي المعتـدل، الـذي يرفض المغـالطـات والخزعبلات، فكان خصـــومه كثيرون يحاولون ،مغالطته، وهذه الخصـــومات الكثيرة إن دلت على شـــيء فإنما تدل على أهمية فكر الرازي ومدى تأثيره في معاصـــريه وفيمن جاء بعدهم، وكذلك مدى فزع بعض أعلام الفكر من فلســـفته وهو إن أخطأ في بعض الأمور لكن جرت سـنة الاجتماع على كسـب الأعداء بسـرعة تفوق سـرعة كسـب الأصـدقاء الذين يصـعب اصـطناعهم دون جهد وطول معاشـرة. وقد أفادت هذه الخصـومة في نقل بعض آراء الرازي في كتب الخصوم، فبقيت هذه الآراء مع ضياع مصدرها.

وقد أكب الرازي على الفلســفة في ســن مبكرة، وكان ميالا للمعرفة العقلية ومشــغولا بها، وسـاعده على ذلك ذكاءه وفطنته. يرى الرازي أن الفلسـفة طريق موصـل للحق وأنها السـبيل الوحيد لإصلاح الفرد والمجتمع بما تنير به العقول والنفوس.[1]

[1]– الرازي، سر الأسرار، تحقيق محمد تقي، إيران، 1343 هـ، ص 130.

ولم يكن الرازي صاحب فلسفة انعزالية مهمومة بعيدة عن الواقع، يل إن فلسفته تتصل بالواقع الإنساني وتلتحم به وتصلح من شأنه مع عمقها واتزانها. ويعتبر أن سيرة الفلاسفة الأفاضل الأخيار الذين كان رائدهم الحق والخير من خير السير لذا كان الاقتداء به واجبا. يقول الرازي في هذا الأمر:" إن السيرة التي سار بها وعليها مضى أفاضل الفلاسفة هي بالقول المجمل معاملة الناس بالعدل، والأخذ عليهم من بعد ذلك بالفضل واستشعار العفة والرحمة والنصح للكل والاجتهاد في نفع الكل إلا من بدأ منهم بالجور والظلم".

وهو أيضا يجل الفلاسفة غاية الإجلال، ويوافق على تعريفهم للفلسفة بأنها:" التشبه بالله عز وجل بقدر ما في طاقة الإنسان".[1] ولذلك على الفيلسوف أن يتحلى بجميع الأخلاق السامية، ويعرف الرازي الفيلسوف الحق أو الحكيم بأنه:" من عرف شروط البرهان وقوانينه وبلغ من العلم الرياضي والطبيعي والعلم الإلهي، مقدار ما في وسع الإنسان بلوغه".

يرى الرازي أن التثقف بفلسفة هؤلاء الفلاسفة وعلى رأسهم سقراط أفلاطون أرسطو، خروسيس، إسكندروس وأمثال هؤلاء الفلاسفة شرط أولي لتكوين الفيلسوف، وإن تمجيد الرازي للفلسفة والفلاسفة هو في الوقت نفسه تمجيد للعقل وإعلاء شأنه، ذلك أنه إن لم يوجد العقل السليم، استحال وجود الفلسفة والفلاسفة. وكان الرازي شغوفا بالاطلاع على معارف السابقين، وفلسفتهم ولم يكن مجرد قارئ أو ناقل، بل كان يحسن الاختيار ويحكم عقله، إلا أن بعض النقاد اتهموا الرازي بعدم التعمق في فهم مؤلفات أرسطو وجاليسون، فإننا نعرف أن الرازي قد انتقدهما بعد أن درس أثارهما وأثار غيرهما من كبار الفلاسفة والأطباء، وأن الفلسفة تنير بصيرة الإنسان ذلك بالقول:" من لم يكن له عقل ولا فطنة ولا حيلة، فليس بحكيم، وهو عامي".[2]

[1]– الرازي، سر الأسرار، ص 133.

[2]– المصدر نفسه، ص 140.

آمن الرازي كغيره من الأطباء العرب إيمانا راســـخا بالطب اليوناني، فهو يعتمد على منطق لا يقبل الجدل، ولكن كل هذا لم يقف في وجهه من أن يتعرض لبعض ما توصـــلوا إليه، يفندها وينفي نتائجها أحيانا يكون قاســيا عنيفا. وكان عليه –من حيث هو أســتاذ –أن يقوم بشرح كل ما يجده في الكتب، ويفسرها لتكون أيسر فهما للطلاب وكان يعلم طلابه أن يتقنوا هذه الصـناعة كونه طبيبا مسلما أي بمبادئ إسـلامية. وان يبين رأيه في كل ما يعاني منه الأطباء وأن يهديهم إلى ما يعينهم في ممارستهم العلاج.

إذ يرى الرازي أن طريق الخلاص للأنفس هو الفلســفة وليس وقفا على الفلاســفة بل لجميع الناس. ويكاد الغموض يلف تاريخ أساتذة الرازي الذين قرأ منهم الفلسفة، ويذكر التاريخ قرأ الفلسفة على شـهيد البلخي المتوفى حوالي 329هـــ والذي كان ملما بالفلسفة، وله فيها مباحث مع الرازي وكان أيضـا معاصـرا للفارابي المتوفى 339هـــ، واطلعا معا على كتاب أرسطو في التحليلات الثانية، وأن هذا الاطلاع قد ظهر أثره في أحد ملخصـات الرازي، وهو " كتاب جمل المعاني (أنالوطيقا) الأولى إلى تمام القياسات الحملية".[1]

ينظـر الـرازي إلـى الطـب علـى أنـه: "الخبـرة بـأحوال الأبـدان الإنسـانية". وهـذه الخبـرة بالنسـبة إليـه الخبـرة التـي يتـأدّى منهـا كمـا يقـول: «حفـظ الصـحة فـي الأجسـاد الصـحيحة، ودفـع المـرض عـن الأجسـاد السـقيمة، وردّهـا إلـى صـحتها». وبـالنظر إلـى أن هـذه النظـرة نظـرة عمليّـة يترتـب عليهـا أن يكـون الطَّـب حاجـة إنسـانية وجهـدا متواصـلا لحـلّ مشـكلات الصـحة فإننـا نجـد أنّ الـرّازي يؤكـد عليهـا باختصـاص الطَّـب الـذي يـراه قائمـا علـى العلـم والعمـل، كمـا يشـير إلـى ذلـك قولـه الآتـي: واسـم الطـب يشـتمل علـى معنيـين علـم وصـناعة ، وعلينـا أن نقـول أن هـذا القـول لـه دلالـة تسـتدعي أن نقـف عليهـا، فهـو إن كـان يشـير إلـى الصـلة بمـا قالـه القـدماء يشـير فـي الآن نفسـه إلـى الأفـاق الممنوحـة للطـب مـن خـلال مـا قـالوه، ومـا أصـبح ينظـر إليـه بعـد ذلـك، إن

[1]– عبد اللطيف محمد العبد، أصول الفكر الفلسفي، مرجع سابق، ص 51.

القدماء عندما نظروا إلى الطب قد نظروا إليه في الإطار الإنساني في إطار ما يمكن أن يفيد به أو في إطار المتوقع منه، وهو جلب الصحة وتعزيزها، كما هو الحال في الرأي الذي يبديه جالينوس، وهو أن الطب هو معرفة الأشياء المنسوبة المتصلة بالصحة والمرض وبالحال التي لم يخلص للإنسان فيها صحة و لا مرض. أي أنه والحال هذه تجربة ممارسة يظهر منها الجانب العلمي كما يظهر منها الجانب العلاجي.[1]

ثانيا: منهج البحث العلمي عند الرازي

اهتم الأطباء المسلمين اهتماما بالغا بالطب السريري، وذلك يرجع إلى اهتمامهم البالغة بالمنهج التجريبي في العلوم الطبيعية، ولاسيما الطبية منها، حيث يتضح من جل المؤلفات الطبية التي وصلتنا من تراث الحضارة الإسلامية أن المنهج التجريبي في أدق وأجلى خطواته المعروفة حاليا، كان هو أسلوب ومنهج أطباء الحضارة الإسلامية، ويأتي الرازي في مقدمة هؤلاء الأطباء الذين استخدموا هذا المنهج، حيث تعد آثاره من الركائز الهامة في تاريخ هذا العلم وأن الرازي وضع المبادئ الأساسية لعلم السريريات البحتة، ولم يكتف بالوقوف عند المبادئ النظرية، بل عمد إلى التجربة. كما أن الرازي تحرر فكريا من تأثير بعض المذاهب والنظريات، فلم يرض بالتسليم بما تتضمنه إلا بعد إقرار التجربة بذلك، باعتبارها أضمن الطرق وصولا إلى الحقيقة العلمية، وقد أدرك الرازي أن التجربة علم ذات أصول وفروع، من هنا كان الرازي يفضل ويؤازر الطبيب الذي يعتمد على التجربة إذا ما اختلف الرأي مع طبيب القياس.[2]

---

[1]– محمد عزيزو، فلسفة الطب عن أبي بكر الرازي – في الإمكان والأفق– مجلة، الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 17، العدد 01، 2025، ص 08.

[2]– خالد حرب، التجارب لأبي بكر الرازي مع دراسة في منهج البحث العلمي عند الرازي، 2006، دار الوفاء لدنيا الطبع والنشر، ص 25.

ويمر المنهج عند الرازي بالمراحل التالية:

1/ الملاحظة:

اتبع الرازي الأسلوب العلمي الصحيح في تناوله للأمراض، فيبدأ بتعريف المرض، وذكر أعراضه، ثم ينتهي إلى العلاج معتمدا على الملاحظة الوصفية الدقيقة، ذلك الوصف الذي يعتبر الأول من نوعه في تاريخ الطب الذي ميز بين أعراض مرض الجدري والحصبة. ولم يترك الرازي صغيرة ولا كبيرة تتعلق بالمريض إلا وسجلها في سجل خاص، ما إذا كان لها تأثير في حدوث المرض أم لا، فكان الرازي يدون كل مشاهداته ويعطي خبرته بطريقة السريرية الخاصة. ومعظم كتبه تحمل طابعه العلمي، ويتضح من الحالات الإكلينيكية التي ذكرها الرازي في كتاب "الحاوي" أن هذه الملاحظات السريرية هي خير دليل على مهارة الرازي ودقة ملاحظته فيما يتعلق بدراسة سير المرض والعلاج في كل حالة مع تطور حالة المريض ونتيجة العلاج.

وكثيرا ما كان الرازي يقرن ملاحظته بخبرته السابقة في تشخيصه للمرض وتقديم العلاج المناسب، ومن أمثلة على ذلك: أن جاءته امرأة قال عنها أنها تجوع ولا تشبع، ويعرض لها لذع في المعدة وصداع، فالحالة هنا هي وجود (حيات البطن) أو الدودة الوحيدة في الأمعاء، وهذا ما أحدث الجوع واضطرابات المعدة، وفقر الدم الذي أحدث صداع عند هذه المرأة، فقدم لها العلاج بالأرياج وهو دواء يحتوي على السقمونيا له تأثير مسهل. واستخدم الرازي خبرته السابقة في تشخيص هذه الحالة.[1]

[1]– خالد حرب، التجارب لأبي بكر الرازي مع دراسته في منهج البحث العلمي عند الرازي، ص26.

كما اعتمد الرازي على الملاحظة المقارنة في نقده للأطباء السابقين عليه في مواضيع عديدة. مثال على ذلك أن الرازي أثبت بمتابعة مشاهداته أن جالينوس قد وقع في خطأ تشخيصه لمرض القولنج على أنه حصاه في الكلى، لكن الرازي استطاع من خلال تركيزه وانتباهه على أوجه الشبه والاختلاف بين أعراض الحصاة في الكلى وأعراض القولنج فاستطاع أن يقارن بينهما ويضع العلاج المناسب لكل منهما.

2/ الفروض

الفرض وظيفته الرئيسية هي انه يوحي بالتجارب أو ملاحظات جديدة، والواقع أن أغلب التجارب وكثيرا من المشاهدات تجرى خصيصا لاختبار الفروض، كما لعبت الفروض دورا بارزا في المنهج العلمي العام عند الرازي، وذلك من خلال إتباعه، خطوات المنهج التجريبي سواء كان في الطب أم في الكيمياء.[1]

2/ التجربة:

اهتم الرازي اهتماما بالغا بالتجربة، باعتبارها معيار الفصل بين الحق والباطل ويمكن أن نقف على عدة أنواع من التجارب عند الرازي فيما يلي:

- **التجربة الموجهة:** لم تكن التجربة عند الرازي تجربة اتفاقية كتلك التي عرفها أطباء اليونان، بل كانت تجربة موجهة أي ترتبها فكرة مسبقة، وهذا النوع من التجارب لا يخرج عما يسمى بالتجربة الموجهة التي تعتبر من أهم المبادئ في التجارب البيولوجية، هي مجموعة الاختبار للتجربة التي يراد معرفة تأثيرها، وجعل المجموعات المتشابهة قدر الإمكان من جميع الوجوه فيما عدا العامل المتغير الوحيد المراد دراسته.[2]

- **التجربة الصيدلانية:** اهتم الرازي اهتماما كبيرا بإجراء تجاربه على الأدوية الجديدة قبل تقديمها كعلاج وقد بدأ أولا بالتجارب على الحيوانات، ثم على الإنسان.

---

[1]- خالد حرب، التجارب لأبي بكر الرازي مع دراسته في منهج البحث العلمي عند الرازي، ص 30.

[2]- المرجع نفسه، ص 88.

- **التجربة الذاتية:** لم تتوقف التجربة عند الرازي على حد الحيوان أو الإنسان سقيما كان أو عليلا، بل نراه يطبقها على نفسه ويدرك الرازي أهمية التجربة ووظيفتها في التحقق من صحة الفروض، كما استفاد الرازي من كثرة تجاربه وعلمته التجربة ضرورة أن يستدل على المرض بكثرة من الاستدلالات، ولاسيما في حالة الأعضاء الباطنة التي لا ترى بالعين ومن خلال التجارب وفق الرازي أيضا على أثر الوراثة في الإصابة بالعديد من الأمراض.

- **التجربة الكيميائية:** تدخل الكيمياء ضمن نطاق العلوم الطبيعية العملية ويرجع اهتمام الرازي بدراء الكيمياء إلى إدراكه أن موضوعاته تتصل اتصالا وثيقا بالطب، كما اعتمد الرازي على التجارب العلمية على نقيض ما سبقه من الكيماويين، كما كان له الأثر في استحداث كثيرا من الأجهزة والأدوات الكيماوية يتبين من خلال تجارب الكيميائية عند الرازي أنه المنهج العلمي المتبع في المختبرات الحديثة اليوم.

كما أن أبرز الجوانب التي تميز ريادة الرازي في المنهج العلمي وتفرده، تتمثل في أنه أول من استعمل خيوط الجراحة المسماة بالقصاب المصنوعة من أمعاء الحيوانات في خياطة الجروح المفتوحة، لأنه يعرف تمام المعرفة أن الخيوط المعمولة من الأمعاء يمتصها الجسم فتصير جزء منه. كما استعمل الفتيلة في الجراحة التي كانت ومازالت لها دور مهم في علم الجراحة. وهو أول من صنع مرهم الزئبق، وأول من حضر حامض النيتريك، وقد سماه في ذلك الحين "زيت الزاج". استخدم الفحم الحيواني في إزالة الألوان والروائح من المواد العضوية. وهو أول من فرق بين كربونات الصوديوم وكربونات البوتاسيوم رغم تشابههما الكبير في خواصهما الطبيعية والكيماوية.

ثالثا: من الطب الجسماني إلى الطب الروحاني

قسم الرازي الأمراض جهة الشفاء إلى ثلاثة أنواع: [1]

[1]- الرازي، أخلاق الطبيب، تحقيق عبد اللطيف محمد العبد، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1977، ص

أ- "**علة واجبة البرء**": يمثل عليها بصداع الرأس الناتج عن ضربة الشمس أو الحمى التي قد تعتري كثيرا من الناس في أكثر الأحيان.

ب- "**علة جائزة البرء**": أي تلك العلل التي يمكن العلاج منها، ويضرب مثالا عليها بالحمى التي ليست من "جنس الحميات الخبيثة"، ويمكن علاج هذا النوع، حسب الرازي، إذا اتبعت في ذلك الطرق الصحيحة باتخاذ الأسباب المفيدة. أما في حالة تركها دونما علاج فإما أن يشفى منها المريض من تلقاء نفسه أو أن تزداد حاله سوءا بسبب استفحال أمرها عليه.

ج- "**علة مستحيلة البرء**" : والمقصود بهذا النوع تلك الأمراض التي لا يفلح معها تدبير طبيب ولا مفعول دواء، كالسرطان والجذام والبرص.

كما قسم الأمراض من حيث طبيعتها إلى الطب الجسماني والطب الروحي أو النفسي.

أ/ الطب الجسماني

وخير ما كان يتميز به الرازي وموضع فخره هو من غير شك مشاهدته الإكلينيكية وحسن إدراكه للدلالات وصواب حكمه، ولكن لا نراع إن كان ذلك لم يكن كله من ابتكاره، فكثير من علمه في هذا الباب يرجع إلى سابقيه، وعندنا أنه ليس لنا أن نسأل الطبيب المعالج حين يصدق علاجه في مرض خطير من أين أتى بنصيحته أيونانية أو مبتكرة؟ وإنما الذي يعنينا أن يكون علاجه صوابا وعلمه بالمرض دقيقا.[1] والمعرفة عند الرازي هي أمر عظيم جدا فهو يقول: " أول ما يحتاج أن يعرف هل يموت المريض؟ أو هل يسلم؟ فإن سلم فبحران تام أو بتحليل...وينبغي أن نضع أولا علامات النضج، لأنه يحتاج إليها في التعرف على السلامة والهلاك، ثم علامات القوة والضعف، ثم علامات البحران* والتحليل".[2]

[1] – محمود دياب، الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ص 55.

* البحران: كلمة سريانية وهو الفصل في الخطاب وتأويله التغير يكون دفعة إلى جانب الصحة وإما إلى جانب المرض.

[2]– أبو بكر الرازي، رسالة الرازي، ج2، من مخطوط مارتن 156 (بودليان)، ص 44.

ويرجع الطبيب الرازي في تقدير أي مرض يؤول إليه المريض بالدلائل، فهو يرى أن جودة الدلائل وأكثرها لا نثق بها إلا عندما ننظر إليها في المنتهى وأما الردية فلا نصـــدر عليها أي حكم بالثقة إلا مع إسقاط القوة. وهذا هو العماد والأصل ويرى أن الثقة الكبيرة هي في دليل على الردية. ويرى في موضـــع آخر أنه يجب على الطبيب أن يجمع العلامات في ورقة، ويراقب تحولها دوما وهذا هو سر من أسرار الصناعة نسميه اليوم بهيرازشية العلامات.

إذا كان تشـخيص الأمراض قضـية فلسـفية يعرف بها وجه الحق عند تشـابه الدلالات وكثير من قوله في تقدمة المعرفة مأخوذ من مؤلفات الفاضـــلين ولكن أرى أن الرازي عندما يقول:" القوة للعليل" كالزاد للمســافر، و"المرض" كالطريق[1] هذا رأيه هو تفوقه يظهر جليا في التشـــخيص وخاصـــة في التشـــخيص المقارن وهو نوعان: فالأول أن يتناول علامة من العلامات المرضـية ثم يبدأ بحثه في أسـبابها والتفريق بين الأسـباب ومثال على ذلك قوله في احتباس البول. أما الثاني أن يأخذ أمراضـا مختلفة بالمقارنة بينها مثل التشـخيص ومثالا على ذلك التفريق بين القولنج*" " وحصاة الكلى* وإيلاوس*".

ويميز الرازي بين القولنج والكلى فيقول أن وجع القولنج يختلف عن وجع الكلى لأن القولنج يصـاحبه مغص*، وفسـاد الهضـم، والتخم قبل ذلك، ويكون الوجع من الأمام وينتقل ويتحرك وله مكان كبير.أما وجع الكلى يصـــاحبه احتباس البول، ومرض الإيلاوس يصـــيب الأمعاء الدقاق وأعراضـــه إصـــابة المريض بالحمى والعطش والتهاب وحمرة اللون، وانقطاع الشهية ويجمع هذين الوجعين أعراض هي احتباس البطن، والوجع الشديد والمغص.[2]

---

[1]– محمود دياب، الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية ، ص 92.

* القولنج colic ألم مؤذي في القولون فمدلوله عند جالينوس كل الم بطني شديد أما عند الرازي الم بطني ناتج عن انسداد معوي.

* حصاة الكلى: الحصاة حجر يتولد في المثانة أو الكلية من خلط غليظ ينعقد فيها وهي من مادة منفعة وقوة فاعلة.

* ايلاوس: وهو مرض وأعراضه الغشي والقيء الدائم والمغص والوجع برد الأطراف والسهر.

* المغص وهو يعرض في الأمعاء العليا فيمنع نفوذ الثقل حتى يخرج من الفم.

[2]– محمود دياب، الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية، المرجع السابق، ص 92.

ولا نســـتقصـــي بقية الدلالات المميزة التي جاء بها طبيبنا الرازي فكلها مفيدة لا غنى للطبيب الممارس عن تقصيها. وفيها دقة يقدرها كل طبيب غاية التقدير.

ولقد حار الأطباء القدامى في تحديد الحميات وذلك نظرا للوســائل التي كانوا يســتعملونها ويعتمدون عليها، ويميز الرازي بين الحمى التي يصـــاحبها عفن، وحمى دون عفن، والتي تعفن تكون على أنواع:

1. عفن في الدم وهو سونوخس*:

2. حمى الغب*

وهي التي تنوب أربعا وعشـرين سـاعة وتفتر، مثلها، ومن أنواعها شـطر الغب. ومنها المفارقة والملازمة وإلى غيرها من الأنواع، أما التي تكون بدون عفن كحمى التي تكون من غليان الدم. ولقد وصف لنا بعض الأمراض كوصفه لداء الكلب والذي هو ينتقل من الكلاب للإنسان حيث أنه كان عندهم في المارستان بعض الناس من يهيج بالليل، فأعراضـه أنه لا يشـرب الماء والسـبب ليس الخوف من الماء وإنما عندما يريد الشـرب فإنه يجد رائحة كريهة في الماء.[1]

كما تطرق طبيبنا الرازي في أعماله الطبية إلى وصـف كل عضـو من أعضـاء الجسم وتبين فائدته ومميزاته وذلك في ســبعة وثلاثين باب ارتأينا أن نقطف هذه الأبواب وهي كما يلي:

❖ **وصف الرازي للنخاع وذكر منافعه:** النخاع عند الرازي فله منشأه من الدماغ والفقار، يحتوي عليه ويصـونه كما يصـون قحف الرأس للدماغ ويحيط به غشـاءان منشـأهما من أمي الدماغ الثخينة والرقيقة والحاجة إليهما في النخاع هي الحاجة التي كانت إليهما في الدماغ

* سونوخس وهي أن جميع الحميات بسبب عفونة بعض الأخلاط في العرق الذي ينبت من أعلى الكبد المعروق المحدب.

* حمى الغب: وهي التي تنوب يوم ويوما لا وهي إما بقيء أو عرق أو باستطلاق البطن.

[1] – محمود دياب، الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية، المرجع السابق، ص 199.

ويحيط بالغشاءين غشاء ثالث من جنس الرباطات منشأه من زائدتي قحف الرأس* وهو شبيه بالآلام الجافية في الغلظة والصلابة.

احتيج إليه لمنفعتين أحداهما أن يغطي ويستر النخاع وأميه والثانية أن يربط الفقار من مقدمه بدخوله منثنيا في الفرج الذي فيما بينهما ومتى نالت هذا الغشاء آفة لم يضر ذلك الحركة، وكذلك لا يضر متى نالت الألام الجافية آفة فأما النخاع نفسه فمتى وقع به قطع في طوله ولم يضر ذلك حركته ومتى وقع به قطع في العرض بطل الحس والحركة من الأعضاء التي فوق ذلك الموضع سليمة الحس والحركة مثال ذلك أنه متى انقطع النخاع فيها بين القحف والفقارة الأولى عدم البدن كله على مكان الحس والحركة وإن وقع القطع فيما بعد الفقارة الأولى من فقار القطن* عدمت الرجلان الحس والحركة وكان ما فوق ذلك سليما في حسه وحركته وكذلك أيضا سائر أجزاء النخاع إذا وقع بها قطع بالعرض أو غير ذلك من الآفات فإن الأعضاء التي دون ذلك الموضع يبطل حسها وحركتها ونحن نبين ذلك على الاستقصاء في الموضوع الذي نبين فيه أسباب الأعراض التي تعرض للحس والحركة فهذه صفة الدماغ والنخاع.[1]

❖ **وصف الرازي لهيئة المثانة:** تعريف المثانة أنها وعاء البول ومغيضه، وموضعها بين الدبر والعانة، وهي مؤلفة من طبقتين وعلى فمها عضل يضمه ويمنع خروج البول منه حتى تطلقه الإرادة. والبول كما ونعلم يجيء إلى المثانة من الكلى في عنقيه اللذين نسميهما الحالبين وإذا بلغ المجريان إلى المثانة فيمر ما بين الطبقتين حتى يصل إلى المثانة ثم يخرقان الطبقة الأخرى ويصبان في تجويف المثانة.[2]

---

* قحف الرأس: العظم الذي يعلو الدماغ أو الجمجمة.

* القطن المنطقة بين الوركين في جسم الإنسان

[1]– محمد بن زكريا الرازي وعلي بن العباس وابن سينا، ثلاث رسائل عربية في التشريح، ترجمة فرنسية لبتري دي كونج، إعادة طبع نشرة ليدن 1963م، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت، جمهورية ألمانيا الاتحادية، ص 72.

[2]– المصدر نفسه، ص384.

❖ **وصف الرازي لهيئة الرحم:** الرحم موضعه فيما بين المثانة والمعي المستقيم، إلا أن هذا الأخير ينفصل عن المثانة إلى فوق، وهي من الأبكار فمن لم تحمل وتلد فهي صغيرة، وأما من كانت حامل فهي كبيرة، وهي في نفسها عصبية حيث يمكن أن تتمدد وتتقلص عند الحاجة إلى ذلك.

وتنضم عند الاستغناء عن التمدد فهو من أجل حالات الولادة ولها بطنان ينتهيان إلى فم واحد وزائدتان تسميان قرني الرحم، وخلفهما بيضتا المرأة وهي أصغر من التي عند الرجل وينصب منهما المني بالنسبة للمرأة إلى تجويف الرحم.

ورقبة الرحم تنتهي إلى قعر الفرج من المرأة، ودورها مثل دور الإحليل بالنسبة للرجل. وفم الرحم عند البكر في عضونه هناك عروق دقيقة تنقطع عند افتضاض غشاء البكارة وإذا حملت المرأة ينضم فم الرحم وعند حضور وقت الولادة أو حدث للجنين آفة أفسدته اتسع حتى تنفذ منه جثة الجنين فالجنين يتكون من المني ويتغذى من الطمث – دم الحيض وخلقة الذكر تتم قبل خلقة الأنثى وعندما يصبح الجنين لا يكتفي مما يجيئه من أمه فإنه يتحرك حركات صعبة وقوية فتنحل الربطة للرحم وتكون الولادة[1] وإلى غير ذلك من أعضاء الجسم التي وضعها الخالق عز وجل في جسم الإنسان فقد وصفها الطبيب الرازي وصفا دقيقا ومفصلا فقد وصف العظام وكذلك العضل، والأعصاب والعروق والشرايين، والدماغ وفي هيئة العين وهيئة الأنف، والصماخ ، وهيئة الحلق والصدر والرئة، والقلب، والمرئ والمعدة والأمعاء، والكبد والطحال والمرارة والكلى والثدي عند المرأة وكلها جعلها في أبواب وإلى غير ذلك من الأعضاء الدقيقة. وبعد ما قام بوصف الأعضاء وسنلقي نظرة عن علاجه لكل داء باجتهاده واستنباطه للدواء، وأهم تجاربه وبالرغم من أن كل ما قدمه لنا مهم فمن علاجاته التي قام بها نستهل الذكر بـ:

[1]– محمد بن زكريا الرازي وعلي بن العباس وابن سينا، ثلاث رسائل عربية في التشريح، المصدر السابق، ص 75.

❖ **علاج للصداع والشقيقة:** يذكر لنا الرازي قصة رجل في زمنه أصابه صداع دامت مدته شهرين وأصيب بغشاوة في العينين وحمرة فيهما فأشار إليه بأخذ الأيارج* وحذره من الفصد*. فأمر له الأستاذ بالقصد فاخرج منه الدم، ثم سقاه شربة من الأهليلج الأصفر، والشاهترج* والسنا*، السكر، فسكن الوجع وبرأ برءا. ثم أمره بتناول التريص من الجدي، وخل وزيت لترجع قوته.

❖ **علاج تصعد البخارات إلى الدماغ:** إن هناك شاب شكى دورانا في رأسه، مع وجع في ركبتيه (فسأله): هل في فمك مرارة؟ قال: نعم، وبه سعال قليل. فأمره بالاستحمام في ذلك اليوم ثم تناوله شربة من أقراص البنفسج* بعده بيومين واستعمال ماء الرمان المر وقال: هذه الصفراء* قد ارتفعت إلى الرأس وأمره بأخذ الغذاء حموضات.*

❖ **علاج مرض الصرع*:** عندما يصاب المريض بهذا الداء فإن دواءه هو أن يمزج ذلك الموضع الذي يؤلمه بخردل* أو جندبيرستر أو عسل بلا ذر لأنه يجتمع في ذلك الموضع بخار حار يغلب على بطون الدماغ، إذا تصاعد إليه. وإنما يعالج الدماغ بالحرارة لأن ذلك البخار يحلل عنه شيئا كثير مما يجب فرد ذلك ويبس.[1]

وكذلك يرى أهل الطب الثقاة أن غلاما قدم الرى وهو ينفث الدم وكان لحقه ذلك في طريقه، فاستدعى أبي بكر الرازي، فلم يعرف له دليل على سل ولا قرحة ولم يعرف العلة فقام

---

* الأيارج: كلمة فارسية معناها دواء مركب مسهل ودواء إلهي.

* الفصد: هو قطع عرق مخصوص وإخراج الدم منه وله عروق خاصة.

* الشاهترج: عشبة برية حولية أوراقها رمادية وأزهارها وردية ميقعة بالأرجواني.

* السنا نبات ربيعي يشبه الحنا وهو السنا المكي.

* البنفسج: VIOLET زهر من فصيلة البنفسجية.

* الصفراء الشبيهة بمح البيض وتولدها في الغالب يكون في الكبد وهو المرة الصفراء.

* حموضات نبات ينبت في أرض دسمة وورقه طويل حاد الرؤوس.

* الصرع الم بالرأس كلها أو جزء ينشأ من الأسباب النفسية والعضوية وهو أنواع.

* خردل نوع من الأعشاب إذا مضغ يقلع البلغم.

[1]– أبو بكر محمد زكريا الرازي، كتاب التجارب مع دراسة منهج البحث العلمي عند الرازي، ج4، تحقيق ودراسة دكتور خالد حربي، الإسكندرية، ص 99.

بتشـخيص مرضــه أن "علقة كانت بالماء شـربه، فالتصـقت بمعدته وهذا فعلها فعالجه بدس الطحلب" في حلقه وسـكبه سـكبا شـديدا ويطالبه ببلعه شـاء أم أبي وأمره أن يسـتغيث وزاد الرازي فيما يســكبه في حلقه فقذف الغلام وتأمل الرازي قذفه فإذا فيه علقة* وعندما وصــل الطحلب* لمعدته قرمت إليه ومن هنا قام الرجل معافى.[1]

- **علاج أوجاع الرحم:** هناك امرأة حاضـت على الأغلب دما مائيا أصـفر فشـخص الرازي هذا بأن في رحمها خراج*، والغالب على دمها الصفراء فقام بوصف الدواء لها أن تشرب الهليلج* وتشربه يوميا وماء الرمان المر.*
- **علاج عسـر الولادة عند المرأة:** كان الرازي ينصـح بأن تسـقى المرأة الحامل من قشـرة الخيار اليابس أربعة دراهم فينفعها وتلد وقال: كانت امرأة تطلق أياما فســقيت در همين من الزعفران فولدت من ساعتها، وجرب ذلك عدة مرات فصح.[2]
- **علاج الرمد وباقي أوجاع العين:** فقد جاءه غلام كان مريض بالرمد* ويعاني من صــداع في رأســه وجبهته فقام الرازي بقصــده ثم قطع له عرق الجبهة وأمره أنه عندما يلجأ إلى النوم يضع بياض البيض ودهن الورد.

---

* علقة: وهي نوع من الديدان تعيش في الماء.

* الطحلب من الأعشاب البحرية المعروفة وهو أشد من البري وهو حرار الصخر.

[1]– ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت ألمانيا الاتحادية، الطبعة بالقاهرة 299 هـ، ص 30.

* خراج: وهو الحب

* الهليلج Myrobolans هو نوع من الشعير الأصفر والأسود منه يسمى الشعير الهندي وينفع البصر الضعيف والمزمن وإذا دق وانحل وأكتحل به.

* الرمان المر وهو ينفع من سيلان الفضول إلى المعدة والأمعاء والحميات المتطاولة وينفع المعدة الحارة ويعقل البطن ويدر البول.

[2]– محسن عقيل، الداء والدواء في طب القدماء، دار الرسول الأكرم، ص 65.

* الرمد ophthalmia وهو ما يعرف بالتهاب ملتحمة العين بسبب دخول أجسام غريبة داخل العين أو جرثومة.

❖ **علاج الرياح* والقولنج ويبس الطبيعة**.إن رجل كان به قولنج شديد وإذا أكل أشياء حارة يستريح، فأمر الرازي بأن يحتقن بهذه الحقنة ويؤخذ كرويا، وكمون، ونانخواه*"، وانيسون*" وصعتر*"، من كل واحد حفنة يغلي غليا جيدا حتى يحمل الماء، ويؤخذ منه رطل ويمرس فيه شراب القرطم* عشرة دراهم* ومن السكنبينج* درهم ويضاف عليه دهن، خروع، در هم أيارج صغيرا ثلاثة دراهم ويحقن به على الريق ويضمد البطن والخاصرتين بهذا الضماد. صـــفته بابونج* وخطمى* ومرزنجوش*" وفوتيج* فيطبخ الجميع ويدق مثل المرهم ويســـخن دائما ويضـــمد به وإذا اشـــتد الوجع بالليل، فيؤخذ درهم فلوســـا ويجتنب الماء البارد، ويلزم الشراب الصرف في قنينة، فيتجرع منه قليلا ويكون طعاما اسقيدباح ويأكل اللحم ولاما خبر بالدهن*.[1]

وأنه كان بامرأة جعدوبة أخو حيدرة علة حارة، فكنت أشير عليه كل يوم إذا جاءني ماؤها بما يوافقها فجاءني رسولها يوما وقال قد ظهر بها وجع وورم في ثديها فاشرت عليه أن لا يبرده البتة وأن يدلكه وأعلمته أنه إن سـكن هذا الوجع بغتة من غير اسـتفراغ عادت العلة، فمالت

* الرياح: أي الهواء الذي يخرج من الإنسان.

* ننخواه: كمون حبشي وهو كطبع الكمون ولكن أصغر حبا واصلب جسما وأكثر اكتنازا وأشد اسخانا وتجفيفا.

* أنيسون نبات طيب الرائحة تعرفه العامة، باسم اليانسون.

* صعتر (زعتر) نبات عشبي عطري ينمو في فرنسا وجنوب أوروبا.

* القرطم هو نبات يزرع في البساتين لجمال ازهاره ويستخلص منه الزيت الحلو.

* دراهم يساوي خمسين دائق والدائق وزنه كوزن حبة القمح أو وزن شعيرتين ويساوي الدرهم اليوم 3.12 غرامات.

* السكنبيج: ينفع القولنج ويخرج البلغم من الورك والمفاصل وهو من الأعشاب.

* بابونج حشيشة منه أصغر الزهر وابيض.

* خطمي : althaea نبات حولي شتوي مزهر ويزرع بالبذور.

* فونيج: وهو الحبق هناك بري وبستاني

* ما خبز بالدهن أي ما يعجن بالزيوت أو الزبدة.

[1] المصدر نفسه، ص 204-206.

المرأة فيما أحسب إلى الراحة فبردت أطرافها فسكن ذلك الوجع والورم وعادت العلة والاختلاط بأحد ما كان وأشده ثم أشرت عليه أن تكب عن التطفئة والتبريد واستفرغتها فبرأت.[1]

وكذلك من القصـــص التي رويت لمعالجته التي ذكرها الرازي في مشـــاهداته عن العلاج النفساني وخلاصتها أن الرازي استدعي لعلاج أمير بخارى وكان يشكو آلاما عصت على المعالجة وعالجها الرازي دون جدوى وفي النهاية قال الأمير أنه غدا ســـيجرب علاجا جديدا بشـرط أن يضـع الأمير تحت تصـرفه أسـرع جوادين في إسـطبلاته فوافق الأمير وفي اليوم التالي قصـد الرازي حماما بظاهر المدينة وربط الجوادين مسـرحين خارج الحمام ودخل وحده غرفة الحمام الساخنة مع مريضـه الأمير ثم صـب عليه الماء الساخن وجرعه الدواء إلى أن نضـجت الأخلاط في مفاصـله ثم تركه وخرج ولبس ملابسـه وعاد بحمل سكينا في يده ودخل على الأمير وشـهرها في وجهه ووقف يؤتيه ويهدده ويتهمه واشـتد تعنيفه فاسـتشـاط الأمير غيظا وبتأثير عامل الغضـــب والخوف اللذين ألقاهما الرازي في روع الأمير وثب على قدميه ونهض واقفا ولقد شـــفي الأمير وهرب الرازي ولكن دعاه الأمير أن يأتي فأبى فقام بمجازاته على ذلك.[2]

أما علاج الرازي للأعصـاب أنه ذكر أنواعها الحركية والحسـية والمشـتركة وخص على معرفة منابت الأعصـــاب لكل عضـــو فإذا اســـترخى عضـــو بحث عن هذه المنابت عرف الأعصـــاب التي تنبت في الدماغ ويتحدث عن علل الأعصـــاب ويقول أنها إذا أبطل عملها يعد مرض فذلك الالتهاب فيها وإن أضـــر شـــيء بها البرد فيكون علاجها بالمســـخنات والمحلات. وخاصـة إذا كان بها ورم ويذكر لنا قصـة رجل كان يصـيد السمك في نهر فبردت

[1]– مصطفى لبيب عبد الغاني، في تاريخ العلوم عند العرب، ج1، منهج البحث الطبي دراسة في فلسفة العلم عند أبي بكر الرازي، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة الطبعة الثانية، ص 53.

[2]–– أحمد شوكت الشطي، الطب عند العرب، مؤسسة المطبوعات الحديثة، ص 136.

منه المواضـــع التي تلي دبره ومثانته حتى إن برازه* وبوله كانا يخرجان بغير إرادة فبرئ من علته سريعا بأدوية مسخنة وضعناها على العضو الذي كانت به علة.[1]

ثانيا: الطب الروحاني:

إن الطبيب الناجح عند الرازي لا يصـلح الجسـد فقط بل يصـلح الروح أيضـا. وتحقيقا لهذه الغاية ألف كتابه الطب الروحاني، تطرق من خلاله إلى إبانة الحق المســتقر فيما هو حق الطب النفساني، وجعلها في شكل عناوين، وهي:

1) في فضل العقل ومدحه:

إن الرازي اسـتهل أعماله بمدح العقل وإجلاله ودرجته الرفيعة بالنسـبة للإنسـان، حيث أن الله جل وعلا لم يخلق لنا العقل هكذا عبثا، فكل ما جعله الله فينا إلا له حكمة بالغة، وبنعمة العقل فضـلنا على الحيوان غير الناطق حتى ملكناها وأصـبحنا نتصـرف فيها ونوجهها بما يعود علينا من منافع فبالعقل وصلنا إلى ما يطيب به عيشنا ويساعدنا على إيجاد حياة سهلة كإدراكنا لصناعة السفن وبه نلنا الطب الذي فيه منافع لا تعد ولا تحصـى، وفي قول الرازي: " إن البارئ عز وجل إنما أعطانا العقل وحبانا به لننال ونبلغ به من المنافع العاجلة والآجلة غاية ما في جوهر مثلنا، نيله وبلوغه وأنه أعظم نعم الله عندنا وأنفع الأشياء لنا وأجداها علينا ...."[2] وبالعقل هدانا إلى اكتشـاف الخفايا والكواكب والشـمس وسـائر المعارف وبه اسـتطعنا معرفة الخالق جل وعلا سـبحانه وتعالى عن كل ما يصـفون ولولا العقل لكنا مثل الحيوانات والمجانين فيجب علينا صـــيانته من الهوى الذي هو أفته والذي يحول بينه وبين ســـننه ومقاصـده واسـتقامته. إن الإنسـان عندما يبلغ محل الرشـد فيروض ويتهيأ للاسـتجابة لأوامر

* البراز: الغائط.

[1]– محمد عبد الحليم العقى، طب الرازي دراسة وتحليل لكتاب الحاوي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص 33–35.

[2]– أبو بكر محمد أبي زكريا الرازي، رسائل فلسفية، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص 11.

العقل ونواهيه، فإذا أطعنا العقل بلغنا مقاصـدنا، وسـعدنا بما أعطاه لنا الله من نعمة وعوائده علينا.

2) في قمع الهوى وردعه وجملة من رأى أفلاطون الحكيم:

من أهم الأشـياء التي شـغلت الرازي من أجل إيجاد حد لقمعها مشـكلة الهوى، فإنه يجب علينا مخالفته فلو خضـعنا له لما كنا أفضـل الناس مميزون بالإرادة، وإطلاق الفعل بالروية لأن البهائم هي التي تنسـاغ وراءه، لأننا لا نجد بهيمة مؤدبة تمسـك عن أن تروث أو تشـبع غريزتها، وفضـلنا عليها بزم* الطبع لأنه تأديبا ،وتعليما، وأن الفيلسـوف الفاضـل في زمه للطبع وملكة الهوى أكثر من العوام، وأن قمع الهوى هو جهاد وجدال ومخالفة وقول الرازي في هذا:" ... إن الهوى والطبع يدعوان أبدا إلى إتباع اللذات الحاضـرة وإيثارها من غير فكر ولا روية في العاقبة ويحثان عليه ويعجلان إليه، وإن كان جالبا للألم، من بعد ومانعا من اللذة ما هو إضـعاف لما تقدم منها ... ويحق للعقل أن يردعهما ويقمعهما ولا يطلعهما إلا بعد التثبت والنظر فيما "يعقبانه"[1] ، وأن الذي يصـبح أسـيرا ومدمنا على الشـهوات ومنهمكا فيها يصبح لا يتلذذ بها ولكن لا يستطيع تركها وهو أشبه بالحاطب على نفسه الساعي في هلاكها. فعندما ننساق وراء الشهوات نصبح كالبهيمة التي حضر وقت ذبحها وهي تقبل على الأكل والشـرب، وتأثر الرازي في هذا بأفلاطون شـيخ الفلاسـفة وعظيمها والذي يرى أن الإنسـان له ثلاثة أنفس يسـمي إحداها النفس الناطقة والإلهية، والأخرى يسـميها النفس الغضبية والحيوانية، والأخرى يسميها النفس النباتية، والنامية والشهوانية، وكل لها دورها الذي تقوم به، وهذا رأي أفلاطون ومن قبله سقراط المتجلي المتأله وإن لزم الهوى وقمعه واجب في كل رأي وعند كل عاقل وفي كل دين قائم التصـدي للهوى يعود في النهاية بلذة رأيه وعقله وسياسة أموره ومدح الناس له على ذلك واشتياقهم أن يكونوا مثله.

* الزم، وهو في اللغة العربية الكبت.

[1]– أبو بكر الرازي، رسائل فلسفية، ص 21.

3) جملة قدمت على ذكر عوارض النفس الردية على انفرادها:

إن الإنسان يجب أن يجتهد في ترويض نفسه لذا استقدم ما يكون قياسا ومثالا للتلطف بالنفس واصلاحها وإذا قدمنا السبب الأعظم والأحرى وكذا العلة الكبرى التي تكون لنا مصدرا ومنها نستقي ونبني عليها ونؤسس جميع وجوه التلطف لإصلاح خلق ما ردى وذلك أن التخلي عن الهوى وتحمل ما تقول به الشهوات ففي زمهما ما يمنع من التمسك والتخلق بهما.

4) في تعرف الرجل عيوب نفسه:

حيث أنه من اجل كل واحد منا لا يستطيع زم الهوى وأنه ينظر بعين العقل فلا يستطيع أن يقوم نفسه ويزكيها ولذا فإنه على كل واحد أن يسند نقده لرجل عاقل قريب منه يحب له الخير ويكره له الشر ويجب أن يحدد له عيوبه ومحاسنه دون مجاملة فإذا سلك المسلك لم يكد يخفي عليه شيء من عيوبه وإن قل وخفى ولقد كتب جالينوس في هذا الباب في كتابه : في أن الأخيار ينتفعون بأعدائهم" ويقول الرازي: " فإن الأخلاق والضرائب الردية قد تحدث بعد أن لم تكن، وينبغي أن يستخبر ويتحسن ما يقول فيه جيرانه ومعاملوه وإخوانه وبماذا يمدحونه وبماذا يعيبونه...."[1]

كما ذكر الرازي ونسخ لنا في فصل العجب إن الذي يكون معجب بنفسه فوق الحدود فإنه يستحسن الأشياء فوق حقها ويستقبح القبح دون حقه، وله نتائج وخيمة على من يكون هكذا حيث يحرم من التزيد ولا الاقتناء والاقتباس من غيره في الشيء الذي هو منه معجب بنفسه، وأن المعجبين بأنفسهم لا يزالوا يرتقون ويتزيدون وإن المعجب لا يجب أن يكبر لكي لا تكبر وتعظم نفسه ولا ينحط حتى لا يقدره غيره ومن هنا يقوم نفسه حتى يسميه الناس العارف بقدر نفسه.

5) الحسد:

[1]– أبو بكر الرازي، رسائل فلسفية، ص 35.

يرى إن الحسـد مقارنة بالبخل هو أشـر منه لأن البخيل إنما لا يحب أن يرى وينال أحد مما يملكه من مال وغيره أما الحسود فإنه يجب أن لا يعيش أحدا على وجه الأرض في خير البتة، ولو أن ذلك مما لا يملكه هو وهو نوع من داء النفس وعظيم الأذى بالإنسـان وغيره من أوجه الاختلاف وأن الحاسد يحسد حتى في خياله فمثلا يحسد من هم في الهند والصين بمجرد تخيله أنهم يعيشون في نعيم ورفاهية، ويغلط الناس في وضع حد الحسد كما أن ينبع الحسد من أغتم من خير وكرهه لغيره، وإن لم يكن له فيه مضرة والحسد ينتشر بين الأقارب والمعارف بصفة خاصة ويقول الرازي في هذا الباب : "إن الحسد أحد العوارض الردية ويتولد من إجماع الرجل ويتولد من إجماع البخل والشره في النفس..."[1] وأن الحسد لا لذة فيه وإن كانت فيه نسبة من اللذة فإنها ليست كباقي الأشياء من اللذات وهو يؤدي إلى عواقب مضرة بالنفس والجسد مثل طول الحزن والهم هذا في النفس أما الجسد طول السهر وسوء هذا الاغتذاء ورداءة اللون وسوء السحنة* ويجب على الإنسان أن يداويه بالاجتهاد في محو الحسد ونسيانه ويضرب عنه ولا يترك فكره أسيرا له لأن العاقل لا يحسد أحدا فيما ناله من العيش السوي وإذا تمعنا في الحياة فإننا نجد لذلها وراحتها هي الكفاف والعفاف فإن فساد النفس ومرضها يكون بالجهل وإتباع الهوى دون العقل فيها.

6) الغضب أو في داء الغضب:

يقول الرازي هنا: " أن الغضب جعل في الحيوان ليكون له به انتقام من المؤذي وهذا العارض إذا أفرط وجاوز حده حتى يفقد معه العقل فربما كانت نكايته في الغاضب وإبلاغه إليه المضرة أشد وأكثر منها في المغضوب عليه"[2] فعندما يغضب الإنسان يجب أن يفكر في عواقب هذا الغضب، فهو يؤدي إلى أشياء غير مرغوب فيها سواء في عاجله أو آجله ويجب أن يتصور دائما الإنسان نفسه وهو في حالة الغضب فنتائجه ربما تعود بالسلب

[1]– أبو بكر الرازي، رسائل فلسفية، ص 35.

* السحنة الهيئة واللون.

[2]– أبو بكر الرازي، رسائل فلسفية، ص 64.

على الغاضـــب أكثر مما يلحق بالمغضـــوب عليه فلقد رأينا أن هناك من لكم رجلا بكفه فكسرت أصابعه حتى أصبح يعالجها لمدة من الزمن ولقد ذكر لنا جالينوس أن والدته كانت تثب بفمها على القفل فتعضه إذا تعسر عليها فتحه.

ونلاحظ أن الإنســان الغاضــب لا فرق بينه وبين المجنون، فيجب أن يأخذ الفرد بنفســه ويتصــرف بروية فمن الغضــب ما قتل، ويترفع عن البهائم بالروية والعقل وله مضــار بليغة على النفس والجســد ومداواتها بالابتعاد عنه لقوله صــلى الله عليه وســلم: " ليس الشــديد بالصرعة، وإنما الشديد من يمتلك نفسه عند الغضب"[1] وعلاجه في السنة أن يتوضأ ويصلي ركعتين ويستغفر المولى جلا وعلا.

7) باب إطراح الكذب:

وهو من العوارض الردية التي يدعوا إليها الهوى، وهو يأخذ بصـــاحبه إلى الندامة والهم والألم. وإن المدمن على الكذب لا يســـتطيع التخلص منه وهذا الكذب لا يعود بلذة أبدا، ولا الاستمتاع به وتقل الثقة الناس به ويحتقرونه. وان الإخبار بعدم الحقيقة له نوعان، نوع يقصد به المخبر أنه أمر جميل وحسـن حيث أن نتائجه تعود عليه بالنفع والشـكر، أما النوع الثاني ففي تكشف صاحبه المذمة والفضيحة وأن الإنسان الكذاب يسمى كذابا ويجتنب ويحترس منه ومن كذبه وكل هذا من أجل لا مصلحة وعلاجه هو الابتعاد عنه.

8) البخل:

وهو ليس من عوارض الهوى بإطلاق حيث نجد أن من الناس من لا ينفق من ماله خوفا من الفقر، ونقص في المال، ظنا منهم أنهم يبختونه للنكبات والمصـائب. ونجد أن هذا الطبع يكون من الصـــغر فنجد بعض الصـــبيان الذين لم يكتمل عقلهم بعد لا يســـخو بما عندهم لقرنائهم وآخرون عكس ذلك.

[1]– محمد بن إسماعيل البخاري، الأدب المفرد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ص 380.

وإذا ســـئل البخيل عن بخله فلا يجد جوابا واضـــحا مقنعا لذلك، ويؤثر على صـــاحبه بالانحطاط حيث يقول الرازي:" ... فهذا المقدار من هذا العارض هو الذي ينبغي أن يصـلح ولا يقار الهوى عليه، وهو البخل بما لا يؤثر في الحالة الحاضرة انحطاطا ولا فيما يرام بلوغه فيما بعد بالمال ضعفا ولا عجزا... "[1]ويحتج البخيل بكل ما أوتي من قوة ثم تكون نتيجته أنه لا يحب أن ينفق ولا يشتهي.

[1] – الرازي محمد بن زكريا– رسائل فلسفية ؛تحقيق لجنة احياء التراث العربي، دار الافاق الجديدة، ط 5، بيروت، 1928.

الفصل الثالث

أخلاقيات الطب عند الرازي

أولا: ماهية الأخلاق والبيوتيقا

1/ تعريف الأخلاق.

الأخـلاق فـي اللغـة: جمـع خلـق، وهـو العـادة، والسـجية، والطبـع، والمـروءة، والـدين. وعنـد القـدماء ملكـة تصـدر بهـا الأفعـال عـن الـنفس مـن غيـر تقـدم رويـة وفكـر وتكلـف. فغيـر الراسـخ مـن صـفات الـنفس لا يكـون خلقـاً، كغضـب الحكـيم، وكـذلك الراسـخ الـذي تصـدر عنـه الأفعـال بعسـر وتأمـل، كالبخيـل إذا حـاول الكـرم. وقـد يطلـق لفـظ الاخـلاق علـى جميـع الأفعـال الصـادرة عـن الـنفس محمـودة كانـت او مذمومـة، فتقـول فـلان كـريم الاخـلاق، او سـيء الأخـلاق. وإذا أطلـق علـى الأفعـال المحمـودة فقـط دل علـى الأدب، لأن الأدب لا يطلـق الا علـى المحمـود مـن الخصـال. فـإذا قلـت: ادب القاضـي اردت بـه مـا يتبغـى للقاضـي أن يفعلـه وكـذلك إذا قلـت آداب الوزراء.[1]

والأخـلاق فـي الاصـطلاح: إذا نظرنـا اليهـا ضـمن هـذا المسـعى، وجـدناها جمـلاً متنوعـة مـن التصـورات التـي صـنعها النـاس عـن المثـل الأعلـى للحيـاة الإنسـانية كمـا تـراءت لهـم هنـا وهنـاك، وكمـا حسـبوا صـوابها فـي عصـر دون عصـر، إنهـا بعبـارة أخـرى، منظومـات أخلاقيـة تنشـأ تلقائيـاً مـن جـراء الممارسـة الأخلاقيـة الراهنـة. وهـي عنـدما تسـود التجربـة الأخلاقيـة المشـتركة تصـبح مقبولـة فـي عصـر مـن العصـور، لـدى جماعـة مـن النـاس، فتنسـب الـى أصـحابها ونحـن نقـول مـثلاً: الأخـلاق الابتدائيـة، أو الأخـلاق الصـينية، أو الرومانيـة أو العربيـة ... وقـد قيـل ولكـل شعـب أخلاقـه التـي تحـددها شـروط حياتـه. بـل إن الأخـلاق لتختلـف داخـل المجتمـع الواحـد تبـع الأوسـاط الاجتماعيـة: الأخـلاق الريفيـة الأخـلاق الشـعبية الأخـلاق البرجوازيـة، أو تختلـف

[1]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص 49.

باختلاف المهن أحياناً، أو باختلاف الجنس بين أخلاق الرجال في هذه الجماعة، وأخلاق النساء.[1]

وانطلاقا من هذين التعريفين للأخلاق نستطيع القول بأنها عبارة عن مجموعة من الأسس والمبادئ التي تنظم سلوكات الأفراد وتحدد له ما هو صحيح وما هو خاطئ، وبالتالي قد تؤثر على هؤلاء الافراد في كيفية اتخاذ قراراتهم والتعامل معها.

2/ مفهوم البيوتيقا.

إن التقدم الهائل والتطور السريع الذي عرفه العلم في شتى تطبيقاته وفي مختلف تخصصاته وفروعه في العصر المعاصر وما نتج عن هذه التطبيقات من تحول هائل في مجال البحث العلمي عند الإنسان المعاصر، هذا الأخير الذي أصبح بإمكانه التحكم في الطبيعة، بل وتغيير خصائص الكائنات الحية عامة بما فيها التركيب الجيني للبشر، وقدرته على التلاعب بالنسل الحي بفضل التطور التقني والآلي في شتى المجالات والعلمي خاصة في جانب الهندسة الوراثية وما لها من فضل مكن العلماء من إنشائهم نسبيا لجيل بشري معاصر خال جينيا من الأمراض، مما دفع بالفلاسفة، المختصون في الأخلاق، رجال الدين وكذا القانون من الوقوف عند عجلة تطور هذه التطبيقات البيولوجية التي اعتبروها منتهكة لقدسية الحياة البشرية قد تتسبب في المستقبل إلى التغيير الجذري في الماهية الحية عامة والبشرية خاصة.

ومع ظهور التوجهات الأخلاقية التطبيقية المعاصرة دعت إلى إعادة النظر في هذه التطبيقات نظرة قيمية تضمن مستقبل الإنسان من حيث هو كائن أخلاقي له حقوقه وقدسيته داعمة إياها تلك الأصوات القانونية، هذه الدعوى بتقاطع

[1]– معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، الطبعة الأولى، المجلد الأول، (د د ن)، 1986، ص 38.

اختصاصاتها نتج عنها ظهور فرع أخلاقي جديد يصطلح عليه بالبيوتيقا، هذه الأخيرة التي اشتملت على دعوى قيمية للتطبيقات البيولوجية.

وللبيوتقا عدة تعريفات منها:

- البيوتيقا هي بحث أخلاقي في القضايا المطروحة من طرف التقدم البيو طبي.
- البيوتيقا هي الدراسة المتعددة في القضايا المجموع الشروط يستوجبها تسيير مسؤول للحياة البشرية في إطار التطورات السريعة والمعقدة لمعرفة التقنيات البيو طبية.
- البيوتيقا هي مجال فكري اتسم باستعمال تقنيات الطب الحيوي الحديثة التي تهدف إلى التوفيق بين البحث العلمي وبين احترام الكرامة البشرية، وقبل ذلك وما يجب التنويه إليه ضرورة التفريق بين الأخلاق والإتيقا فاللفظان لهما جذران لغويان مختلفان: فبينما ينحدر لفظ الأخلاق morale من اللغة اللاتينية mosmores ، فإن لفظ إتيقا éthique متأت من اللغة الإغريقية (إيتوس ethos) الذي يفيد العادات moeurs التصرف في الحياة، قواعد السلوك من الناحية الاشتقاقية إذن يعني الحقيقة نفسها التي للكلمة أخلاق، كما تشير إلى ذلك مختلف القواميس. وإذا كان استعمال لفظ أخلاق وإتيقا يترادف لدى كثير من المفكرين والكتاب ومن دون تمييز يذكر بينهما إلا فيما ندر[1].

وعلى الرغم من ذلك سنجد أن مبحث الإتيقا يشير إلى ثلاثة معانٍ أو يغطي ثلاثة مجالات هي:[2]

- بحث عن معايير للسلوك أو قواعد، أي بحث وتفكير وتحليل لأسس القيمة.

[1] محمد جديدي: البيوتيقا مقاربة علمانية، بحث محكم، مؤسسة دراسات وأبحاث قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، الرباط، أكدال، المملكة المغربية 04 سبتمبر 2015، ص 8.

[2]– المرجع نفسه، ص 8.

- بحث يتسم بنسقية التفكير وعمقه، وهو كما يتبدى لدى بعض الفلاسفة مثل أرسطو طاليس، إيمانويل كانط ، سبينوزا ، وغيرهم.
- ممارسة واقعية لتحقيق القيم، وليس مجرد بحث نظري في القيمة، بل نشاط تتجسد من ورائه.

وقد يحصل تمييز بين الأخلاق والإتيقا لدى بعض الفلاسفة، فيميلون إلى حصر دلالة الإتيقا على المعنيين الأول والثاني، وعليه فالأخلاق تعني "علم الخير والشر"، أو علم الأخلاق، أو تتحدد كذلك بدراسة أسس الأخلاق، أي البحث في مصادر القيمة والسلوك ومرجعياتهما. وربما هذا ما لخصه الفيلسوف الفرنسي بول ريكور في قوله مبرزاً الفرق بين الأخلاق و الإتيقا، بحيث يضفي على التمييز بينهما بعداً فلسفياً يتصل بالاختيار في الحياة تشير إليه الإتيقا، أي بين ما هو حسن وجيد ، واختياري، أي optatif، بينما يتعلق الأمر في الأخلاق بما هو واجب والزامي أي impératif3 هكذا فإنّ ما يميز الأخلاق هو الأوامر القاضية بـ: افعل كذا، قُم بكذا ، ساعد والديك، احترم جيرانك، أو الأوامر بالانتهاء عن ذلك: لا تقتل، لا تكذب، لا تسرق، بينما الإتيقا تقسم بخيارات سلوكية في الحياة، يكون الإنسان حراً في إتيانها أو تركها، ففي حالات اللجوء – بناءً على رأي الطبيب – إلى إجراء عملية جراحية أو الإخصاب الاصطناعي أو الإجهاض ما يوحي بالفعل الحر وحرية الارادة الناجمة عن اختيار حر وموافقة مستنيرة ، وبهذا فإن الاتيقا تحوز السبق على الأخلاق ، لأنها تقوم على الاختيار الذي يتناسب مع الحياة الجيدة والحسنة ، وليس في حياة المنع والانتهاء كما تدعو الى ذلك واجبات الاخلاق.[1]

[1]– محمد جديدي: البيوتيقا مقاربة علمانية، المرجع السابق، ص 9.

ثانيا: أسس البيوتيقا

لا يمكن فهم البيوتيقاإلا من خلال الأســس والركائز التي أقيمت عليها، وقد حدّدت في أربع مبادئ[1] من قبل كثير من الباحثين والفلاسفة، وهي: مبدأ الاستقلالية، ومبدأ الإحسان، ومبدأ عدم الإساءة، ومبدأ العدالة.

أولا: الاستقلالية

الكائن فردية متميزة، من حيث البناء العضوي، ومن حيث استقلاله النفسي، فإرادة الفرد تعبير عن هويّته وكينونته، وهذا المبدأ الذي قامت عليه البيوتيقا كمؤشِّر للأشكلة الأخلاقية، وعلى حدِّ تعبير ميشيلا مارزانو: المبدأ الذي يقرّ بأنّ كل مريض هو شخص مستقلّ، وقادر على الاختيار واتّخاذ القرار. والســـؤال الأخلاقي الذي يواجه هذا المبدأ التقاطع بين مبدأ الاســـتقلالية ومبدأ الكرامة الإنســـانية، التي هي القيمة الخلقية المركبة التي تُحايث الوجود الإنســاني، وجملة الصــفات والأحكام الخلقية التي ترافق الوجود البشــري، فهي تضــمُّ قيمًا تقريرية، وقيمًا وجوبية.

ثانيا: مبدأ الإحسان

الإحســـان قيمة خلقية عاطفية تقابل العدل القيمة القائمة والمبنية على العقل، والتعليل العقلي والعلمي لمبدأ الإحسان يشير إلى تحرُّر هذه الصفة من المعايير، والاعتبارات العقلية، والمنطلقات التي يعود إليها الإنســـان هي الاعتقاد بتعالي الدلالة الإنســـانية عن كل اعتبار اثني [ethnique] أو سـياسـي، فالجوهر الإنسـاني هو المبرِّر الوحيد الذي نعلّل به علاقاتنا ومعاملاتنا مع الآخرين. والبيوتيقا كمقاربة أخلاقية للطب، والبحث البيولوجي تجد في مبدأ الإحسان إلى الغير منطلقًا شرعيًّا، ومشروعًا في التعاطي البحثي مع الإنسان، فحسب توم

[1]– شريف الدين بن دوبه، الإسلام والأخلاقيات الطبية «البيوتيقا»، مجلة الكلمة، http://kalema.net/home/article/view/1470

بوشامب Tom Beauchamp يشمل الإحسان على نحو أوسع جميع أشكال النشاط الهادف إلى الفائدة أو تعزيز الخير للأشخاص الآخرين، ومساعدتهم على تعزيز المصالح الهامة والمشروعة، وغالبًا عن طريق منع أو إزالة الأضرار الممكنة

ثالثا: مبدأ عدم الإساءة

هذا المبدأ صورة سلبية لمبدأ الإحسان، فإذا كان هذا المبدأ يلزمنا بالالتزام أخلاقيًا اتجاه الآخرين بأداء واجبات نحوهم من قبيل العناية بهم، وعلاجهم، والسهر على حمايتهم، فإن مبدأ عدم الإساءة يقيم سقفًا للضرر المحتمل في الفعل الأخلاقي. ومن الأشكال التي يعمل هذا المبدأ على الإقلال منها الأخطاء الطبية، والخفض من نسبة الأضرار الممكنة في العمليات الجراحية، فهناك أخطاء غير قابلة للغفران، مثل بتر الطبيب للعضو السليم بدلًا عن العضو العليل، فالأخطاء الطبية واردة، وممكنة، ولذا عملت المنظمات الحكومية، والمدنية في الدول المتطورة على ضبط، وتأطير هذه العمليات بغية تفادي أكبر ضرر ممكن.

رابعًا: مبدأ العدل

العدل كقيمة أخلاقية هو التوازن القائم بين الحق والواجب، فإذا كان من حق المريض على الطبيب أن يعالجه كما تعارف فلاسفة الأخلاق قديمًا، فهل من واجب الطبيب أن يعالجه دون مقابل، للإجابة عن هذه المسألة نصادف إجابات تقليدية مثالية كانطية، وتقليدية نفعية، فمبدأ الإحسان يلزم الطبيب بعلاج المريض، فحاجته إلى العلاج مبرر كافٍ لواجب العلاج.

إن هذه المبادئ قريبة من المبادئ الأخلاقية التي تضمنها قسم أبقراط وهي:

- مبدأ الإحسان (عمل الخير)
- مبدأ عدم الضرر
- ومبدأ حفظ حرمة المريض وسره.

ثالثا: أخلاق الطب عند الرازي

اهتمت الحضـــارة الإســـلامية اهتماما بالغا بالأخلاق وحث الناس على الالتزام والتحلي بها، ومنها الأخلاق الطبية، التي تعد مبحثا عريقا من مباحث علم الطب التي اقترنت به منذ نشأته، حيث ألجأت الضرورة إلى وضع مواثيق أخلاقية تضبط الممارسة الطبية، وتصوغ العلاقة بين الطبيب والمريض. ويُعد قسم أبقراط الشهير من أقدم الوثائق التي وصلتنا في هذا الصدد. وعلى الرغم من تأثر الأطباء المسلمين بالطب اليوناني، فإن ذلك لم يمنعهم من ضبط مفاهيمه وممارساته وفق تعاليم الشريعة الإسلامية إلى الدرجة التي معها أعطوا للقسم الأبقراطي صبغة إسلامية؛ ضبطوا من خلالها مهنة الطبيب، ووجهوها الوجهة الصحيحة الموجهة نحو المراقبة بمعرفة محتسب الدولة. ومن هنا جاء الاهتمام بدراسة الأخلاق الطبية في الحضارة الإسلامية. أو ما يعرف في الأدبيات الطبية الأخلاقية بـ"أدب الطبيب".

و"أدب الطبيب" أو أخلاقيات الطب هي مجموعة المابادئ والقيم التي تحكم ســـلوك الطبيب والمريض والمجتمع ككل في المجال الطبي، بالاستناد إلى:

- الشريعة الإسلامية
- الفلسفة العقلية
- المنهج العلمي القائم على الملاحظة والتجربة
- القيم الأخلاقية والإنسانية مثل: العدل والرحمة والصدق والعفة والأمانة العلمية

وساهم أطباء وعلماء الحضارة الإسلامية في تأسيس "أدب الطبيب" بمصنفات حصرية، ومنهم ابن ماسويه(*)، والرهاوي وهو إسحاق بن علي (ت240هـ-931م)؛ كان طبيبًا عراقيًّا متميزًا، عالمًا بكلام جالينوس، وله أعمال جيدة في صناعة

(*)**ابن ماســويه:** هو أبو زكريا يحيى (يوحنا)؛ حيث كان طبيبا ذكيا خبيرًا بصــناعة الطب، وخدم به الرشــيد، والمأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل. وتوفي ماسويه في خلافة الأخير سنة 243هـ-857م. كان ابن ماسويه غزير الإنتاج الطبي، فسجل له ابن أبي أصيبعة أسماء 42 كتابا في الطب.

الطب، وأشهر كتبه (أدب الطبيب) الذي عُد من أهم الأعمال العربية في مجال الأخلاق الطبية. استهدف الرهاوي من وضع هذا الكتاب، إضافة إلى تعليم آداب المهنة، إبراز شرفها، وعظيم ما يستفاد منها في حالتي الصحة والمرض، وما ينبغي على الطبيب من الثقة بعون الله تعالى، خالق الإنسان والأكوان، وأنه هو الباري، والمعين، والشافي. يقول:" لقح عقلك بالأداب كما تلقح الشجرة بالشجر الكراب، رضا النفس بالحكمة لتدرك الحقيقة كرياضة للجسم لتصبر على المشقة"[1]

ومما يثير الانتباه في كتاب الرهاوي، أنه بدأ مقدمته بالربط بين صحة العقيدة وكمال مهنة الطب؛ فينبغي على الطبيب الإيمان بثلاث اعتقادات، هي الاعتقاد بالخالق جل وعلا، والمحبة الصادقة التي ينبغي للعبد أن ينظر بها إلى خالقه، والإيمان بالرسل والأنبياء. وهذا تثقيف روحي للطبيب يُبْعد مَن يتحلى به عن الدنايا والخداع، وابتزاز أموال البسطاء من الناس والمرضى. وضمن الرهاوي كتابه عددًا من المبادئ الأخلاقية التي يجب على الطبيب التحلي بها، ومنها ألا يرغب في الحرام من الأموال. ولا يجوز للطبيب أن يعالج مريضًا لم يتحقق عنده مرضه، لئلاَّ يوقعه في مرض آخر يكون أعظم من الأول فيحتاج أن يُعالج من العلاج. وهذا معناه أن يكون الطبيب عالمًا ومتمرسًا بالتشخيص السليم. ووجه العدل وابتداؤه ينبغي أن يكون من الطبيب أولاً، وذلك بأن يروض نفسه ويأخذها دائمًا باستعمال الأخلاق المحمودة والأفعال المرضية، والاجتهاد في اقتناء صناعته ودرس كتبها، والمعاناة لأعمالها، لا يفرق في ذلك بين الناس كافة، ولا يفرق في ذلك بين صديقه وعدوه، ولا بين موافقه ومخالفه.. ولما كان قوم قد تغطرسوا على هذه الصناعة فادعوها بغير معرفة بها، وجب على الملك خاصة، كما يقول

[1]– اسحاق بن علي الرهاوي، أدب الطبيب، تحقيق، كمال السامرائي، مركز التحقيقات، إيران، ط1، 1992، ص25.

الرهاوي، إزالتهم عما عصوه أولاً، وألا يُمكن أحدهم من الجلوس للطب إلا بعد ما ذكرناه من الامتحان.[1]

ابن سينا (980م – 1037م) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، يُعد من أبرز علماء المسلمين في الطب والفلسفة والعلوم، ولقب بالشيخ الرئيس في العالم الإسلامي، كما عُرف في أوروبا بـ"Avicenna"

ابن سينا هو أبو علي الحسين بن الحسين بن علي بن سينا، عالم وطبيب مسلم، ولد في أوزبكستان عام تسعمائة وثمانين ميلادية، كان شديد الذكاء والحكمة، حفظ القرآن ولم يكن قد أتم العاشرة، كان محبًا للترحال لطلب العلم، ألف الكثير من الكتب في الطب والفلسفة، لقب قديمًا بالشيخ الرئيس، ولقبه الغربيون بأبي الطب الحديث وأمير الأطباء، وهو أول من كتب عن الطب في العالم، ودرس أيضا بجانب الطب الفلسفة، وعلوم الفقه والأدب فأبدع في علوم عديدة وترك الكثير من الإنجازات العلمية، توفي في عام ألف وسبعة وثلاثين ميلادية في إيران، وسيُعرض لكم في هذا المقال أبرز إنجازات ابن سينا.

كما يعتبر من أوائل العلماء المسلمين الذين تحدثوا عن أهمية العلاج النفسي، وأثر الأمراض النفسية على الآلام العصبية وعلى أعضاء الجسم، كالخوف والقلق والحزن، ويعتبر اول من شخص الشلل النصفي، وهو أيضًا أول من فرق بين الشلل الناجم عن أسباب خارجية والشلل الناجم عن أسباب داخلية، واكتشف السكتة الدماغية، وهو أول من اكتشف العدوى وكيفية انتقال الأمراض كالجدري والحصبة.، كما وصف بعض أمراض النساء؛ مثل الانسداد المهبلي والأورام الليفية وحمى النفاس.

[1]– خالد حربي، أخلاقيات الطب في التراث، https://hiragate.com/28500/

ويُعد أبو بكر محمد بن زكريا الرازي أحد رواد التصـــنيف في الأخلاق الطبية في الحضـــارة الإســـلامية. وهو خير ممثل لمرحلة الإبداع والابتكار من تاريخ الطب العربي الإسلامي، وذلك بفضل إنجازاته الطبية والصيدلانية والبحثية والتعليمية التي أبدعها وأفادت منها البشـرية جمعاء، منها في مجال الأخلاق الطبية رسـالته (أخلاق الطبيب)[1]، وتضـم مجموعة الوصـايا التي يجب أن يلتزم ويتشـبع بها الطالب حتى يصـبح طبيبا جيدا وليس طبيبا سيئا.

وهذه الرسالة حسب المحقق، تضع دستورا أخلاقيا في طريقة السلوك بين الطبيب والمريض، وترســم أهم المبادئ التي يجب أن يتعامل بها كل منهما مع الآخر، وهي نموذج أدبي رائع لأحد موضوعات الخير الأسمى.[2]

والحال، أن الرسالة تستهدف علاقة طالب الطب بذاته وبزملائه الذين يعتبرون مشروع أطباء في المستقبل، وبمحيطه الاستشفائي؛ لأن الطبيب لا يشتغل لوحده، ولكن في إطار مؤسسة. وكذلك علاقته بالمجتمع والجماعة. ولكي يصبح طالب الطب طبيبا جيدا وأصيلا عليه أن يتوفر على مجموعة من الخصائص والصفات ذات البعد الأخلاقي والمنهجي التي يحددها الرازي في هذه الرســالة بطريقة واضــحة ومعيارية، وهو هنا لا يكتفي بأقواله، وإنما يورد أقوال غيره من حكماء الطب الأقدمين، والذين يعدّون من مؤسسي صرح الطب. وفي هذا الأمر إشارة إلى الانفتاح الفكري على الآخر.

ويعتبر الطبيب عند الرازي؛ بمثابة المشرف على المريض والمتدبر لأمره، وقد جاء ذلك في ســياق الحديث عن الدور الذي يؤديه في التخفيف من آلامه ومعاناته، أي في إطار العناية به بصــفته محتاجا إلى تلك العناية. يشــير الرازي إلى نعت عالم ما أو طبيب ما

[1]– الرازي، أخلاق الطبيب، تقديم وتحقيق، عبد اللطيف محمد العبد، ط1، 1988.

[2]– الرازي، أخلاق الطبيب، ص10.

بالجهل لكونه عجز عن الإجابة في مسألة معينة ترجع أساسا إلى فساد تصور بعض العامة وجهلهم لا إلى تقصير العلماء والأطباء، وذلك نظرا لأن الكمال صفة متنافية أصلا عن الإنسان لأنه بطبعه حمل في طياته الخطأ والصواب فيقول الرازي في هذا " فإن من الأمراء والرؤساء يكون عاميًا، يقول الرازي: "ومن الأكابر من يصادف أميا فيحسبون بقلة علمهم، وكثرة جهلهم أن كل من نسب إلى علم، فهو خليق بأن يجيب عن كل ما يسأل من ذلك العلم، فإن غبي بمسألة فإنهم ينسبونه إلى الجهل. وليس يدرون أنه ربما أصاب الأخرق وأشوى (أي أخطأ) الحاذق وربما أشكل على العالم المسألة التي يجيب عنها أقل تلامذته علما، وأحلهم (بمعنى أقلهم) فهما، لا أنه ليس يحفظها، أو لم يقرأها، ولم يسمعها، لكن لعوز الكمال في الإنسان."[1]

وانطلاقا من ما قاله الرازي وهو أنه قد يكون هنالك عالم ومتفوق في علمه، ومتمكن في ما درسه من علم ما، ويصادف شخصا من عامة الناس ممن يتمتعون بعلم على قدرهم، أو بالأحرى عديم المعرفة إطلاقا، فيسأل هذا الأخير العالم في مسألة معينة، ولا يستطيع العالم إيجاد إجابة في ذلك الوقت أو حتى أنه لا يدرك عنها أدنى فكرة، ومن هنا ينسب هذا العامي ذلك العالم الى الجهال، غير الملمين بما يشتغلون به من ضروب العلم وصنوف المعرفة، فهو في تفكيره أن كل من قرأ نوعا من العلم وشرع في فن من ذلك، فلا يجوز له نسيان شيء أو الإغفال عنه أو الخطأ فيه.

فحسب الرازي أن عجز الأطباء (العلماء) عن الجواب عن بعض المسائل لا ترجع بالضرورة إلى جهلهم أو تقصيرهم في علمهم وعملهم، بل إن مراد الأمر إلى أن إحاطة الإنسان العالم بكل الموضوعات وتفاصيل العلم من العلوم أي إحاطته

[1]– الرازي، أخلاق الطبيب، ص23.

بكل مسائله وفروعه أمر متعذر عن الكائن البشري المجبول على النقصان والمطبوع على عدم الكمال، إن ما ينطبق على العلماء بصفة عامة ينطبق على الأطباء بصفة أخص، حيث إن من الناس مثلا من يتوهم أن من مهام الموكلة إلى الطبيب أن يكون مقدوره أبراء كل سقيم مهما كانت علته أو مرضه، فيقول الرازي في هذا الصدد " فأما الأميون والعاميون فإنهم يتوهمون، بل يعتقدون- أن كل من نُسِبَ إلى علم النجوم، فإنه لا محالة يعلم الغيب، وأن من نُسِبَ إلى الطب فإنه يقدر أن يزيل كل مرض ، ويشفي كل سقم"[1].

والجدير بالذكر هنا أن أبا بكر الرازي هو نفسه تعرض وعانى من بعض الادعاءات من قبل عامة الناس، فمنهم من اتهمه بالزندقة والكفر نتيجة تقدمه في الطب وكذا فصله للأخلاق عن الدين، ومن هنا نفهم أن عموم الناس لا يستطيعون فهم ما بداخل أي شخص عالم بمعرفة ما وأنه مثل أي شخص عادي لديه ملكة النسيان والجهل إن صح القول من بعض الأمور الخارجة عن ارادته. لكننا هنا سنتكلم عن الطبيب نفسه كأحد أركان الممارسة الطَّبيّة، له صورته الخاصة التي يجب أن تكون متميّزة، ولذلك، فهو إذ يتحدث عنه في إطار مسؤولية وظيفية لها شروطها الأخلاقية، والتي يمكن الوقوف عليها فيما يلي:

1- صيانة النفس عن الهوى:

وأول ما يجب على الطبيب من مبادئ هذا الدستور -كما يقول الرازي- صيانة النفس عن الاشتغال باللهو والطرب والمواظبة على تصفح الكتب. وهنا يتضح تشديد الرازي على دور الاستقامة الخلُقية والعلمية في نجاح عمل الطبيب الذي يقول له الرازي أيضا: "**وإياك ومعاقرة الخمر، إذ ربما احتيج إليك في وقت فتُصادف سكران، فتصغر في عينيه، ويقع في**

[1]- الرازي، أخلاق الطبيب، ص24.

علاجك من الخطأ ما لم يمكنك تداركه"[1]. وعلى الطبيب أن يغض بصره عن الأمور التي لا يجوز له مد بصره إليها، خصوصا في علاجه للنساء. حيث يجب عليه "**إذا أراد علاجهن أن يقصد الموضع الذي فيه معنى علاجه، ويترك إجالة عينيه إلى سائر بدنها**".[2]

2-حفظ أسرار المرضى:

من أهم آداب مهنة الطب منذ وجدت حتى يومنا هذا، حفظ أسرار المرضى؛ فعلى الطبيب وفْق الرازي أن يكون رفيقًا بالناس، حافظًا لغيبهم كاتمًا لأسرارهم. فالمريض قد يلجأ، في نظر الرازي، إلى الحديث عن أمور شخصية يكتمها عن أقرب الناس إليه، لكنه قد يحكيها للطبيب اضطرارا بحكم ضرورة التعرف على بعض الأمور التي قد تعينه في دفع ما ألم بمريضه من داء.[3] لذا وجب على الطبيب، من الناحية الأخلاقية، أن لا يفشي تلك الأسرار لأحد حتى لو كان ولد المريض أو زوجه أو أباه.

3-المساواة بين المرضى:

إذا كان الحق في تلقي الرعاية الصحية بغض النظر عن المستوى الاجتماعي من أهم الحقوق الإنسانية حاليًا، فإن الرازي جعل لهذه المسألة الاجتماعية الإنسانية مبدأ في الدستور الأخلاقي، وسطره بقوله: "**وينبغي للطبيب أن يعالج الفقراء كما يعالج الأغنياء**".[4] فقد حرص الرازي على غرس القيم الأخلاقية في نفوس طلابه؛ فكان يوصيهم بأن يكون هدفهم هو إبراء مرضاهم أكثر من نيل أجورهم منهم، وأن يعالجوا الفقراء بمثل الاهتمام والعناية التي يعالجون

[1]- أبو بكر الرازي، أخلاق الطبيب، ص29.
[2]- أبو بكر الرازي، أخلاق الطبيب، ص29.
[3]- أبو بكر الرازي، أخلاق الطبيب، ص27.
[4]- أبو بكر الرازي، أخلاق الطبيب، ص37.

بهـا الأمـراء والأغنيـاء، وأن يوهمـوا المرضـى بالشـفاء حتـى لـو كـانوا أنفسـهم لا يعتقدون بذلك.

4- الرفق بالمرضى

علـى الطبيـب أن يكـون رفيقـا بمرضـاه أثنـاء علاجـه إيـاهم. لا شـك أن مفعـول العـلاج المُرفـق بالمعاملـة الحسـنة يكـون أبلـغ أثـرا فـي تحسـن حـال المـريض مـن الاقتصـار علـى المعالجـة وحـدها. وربمـا قـد يكـون الـرازي قـد لاحـظ مـدى تـأثير المعاملـة الجيـدة علـى بعـض المرضـى، سـواء تأثيرهـا علـى الجانـب النفسـي أو حتـى البـدني. حيـث يمكـن، مـن جهـة، أن تخفـف عـنهم شـيئا مـن وطـأة آلام المـرض، ويمكنهـا مـن ناحيـة أخـرى أن تسـهم فـي عـلاج أجسـامهم السـقيمة. وقـد قلنـا أن الـرازي "ربمـا قـد لا حـظ تـأثير المعاملـة الحسـنة" نظـرا لأنـه كـان طبيبـا ممارسـا لهـذه المهنـة بالبيمارسـتان العضـدي وبيمارسـتان الـري. بالتـالي، فـلا ريـب أن ممارسـته للطـب قـد أكسـبته خبـرة واسـعة ودرايـة عميقـة لـيس مـن الناحيـة العلميـة فحسـب، بـل مـن الناحيـة الأخلاقيـة (السـلوكية) أيضـا، لـذا نلفيـه هنـا يحـث تلميـذه علـى أهميـة معاملـة المرضـى برفـق لمـا ينطـوي عليـه هـذا الفعـل مـن خلـق عـال ومـن نتـائج إيجابيـة علـى نفسـية وصحة المريض.

5- حسن التوكل على الله:

رغـم مـا عـرف عـن الـرازي مـن اجتهـاد علمـي واعتمـاده علـى التجربـة والممارسـة الطبيتـين، فإنـه لـم يكـن يعتمـد بشـكل مطلـق علـى هـذه الأمـور، فهـي مجـرد أسـباب لابـد مـن اتخاذهـا طلبـا للعـلاج ودفعـا للأسـقام. بالمقابـل، يـرى الـرازي أنـه رغـم اتخـاذ كـل الأسـباب الضـرورية فـإن مسـألة الشـفاء تبقـى أمـرا بيـد الله تعـالى، يقـول بهـذا الصـدد : "**ويتكـل الطبيـب فـي علاجـه علـى الله تعـالى، ويتوقـع البـرء منـه. ولا يحسـب قوتـه وعلمـه، ويعتمـد فـي كـل أمـوره عليـه. فـإذ فعـل ذلـك ونظـر**

إلى نفسه وقوته في الصناعة وحذقه، حرمه الله البرء".[1] من الواضح أن الرازي يؤمن بأن الشفاء (البرء) ليس أمرا بيد الطبيب، فهذا الأخير ملزم باتخاذ الأسباب الضرورية لذلك، لكن نجاح الأمر بحصول الشفاء أمر موكول إلى الباري عز وجل. بل إنه يرى أيضا أن الأسباب نفسها ليست إلا توفيقا من الله تعالى للطبيب، وهذا ما يمكن أن يستشف من العبارتين التاليتين : "ويتكل الطبيب في علاجه على الله تعالى" و"يعتمد في كل أموره عليه"، إذ من الملاحظ هنا إن الرازي لم يميز بين الأسباب والنتائج، مما يجيز أن تحمل عبارة "كل أموره" عليهما معا.

6-الالتزام الأخلاقي مع المريض:

يظهر الالتزام الأخلاقي هنا، أولا، في حالة اللقاء بالمريض. وثانيا، في حالة مزاولة العمل السريري، في الحالة الأولى، يؤكد الرّازي على فكرة مهمة وهي فكرة مساءلة العليل وحسن المساءلة في ذلك، والثانية هي فكرة لزوم المريض وملاحظة أحواله، أو كما يسميها أيضا الإلف، والفكرة الأخرى هي فكرة الإيهام بالصحة، أو فكرة جعل المريض يرتاح إلى أمل شفائه.

7-الالتزام بحسن التعامل مع المرض:

يؤكد الرّازي أن على الطبيب في تعامله مع المرض مراعاة المطالب التالية: الصورة التعريفية للمرض، طلب العلة أو السبب، تمثل العلاج، تمثل القابليات المرضية للأبدان، تمثل الطرق الاحترازية من الأمراض تمثل مآلات الأمراض.[2] إن الرازي يحث على ضرورة معاملة الطبيب بالحسنى وإكرامه من طرف مخدومه فمن شأنه أن يحثه على الاجتهاد أكثر في علمه وعمله خدمة لذلك المخدوم من خلال

[1]- أبو بكر الرازي، أخلاق الطبيب، ص38.

[2]- أبو بكر الرازي، أخلاق الطبيب، ص14.

السهر على حفظ صحته عليه، ومعالجته من أمراضه بأقصى وسعه، فيقتصر الرازي هنا على حالة خاصة وهي تلك المتعلقة بخدمة الطبيب لأمير أو أحد من أصحاب الجاه، حيث لا يتطرق مثلا إلى الكيفية التي يجب أن يُعامل بها عامة الناس الطبيب، فيشر الرازي إلى أنه يجب على عامة الناس وخاصتهم أن يكرموا الطبيب.

وإذا كان للمريض على الطبيب واجبات، فإن لهذا الأخير كذلك على المريض بعض الواجبات التي يأتي الرازي على ذكرها مباشرة بعد التطرق لواجبات الطبيب تجاه مريضه. من بينها:

- أن يعمل عامة الناس وخاصتهم على رفع مكانة الطبيب على غيره من الناس. يرجع سبب ذلك إلى أمور منها – مثلا – أن الطبيب هو أحرص الناس على صحة مخدومه (سواء كان سيدا/أميرا كما في حالة تلميذ الرازي أو كان مريضا بصفة عامة) وأسعدهم بسلامته وشفائه لما في ذلك من تعبير عن نجاحه في مهنته كطبيب يرعى صحة الناس.
- معاملة الطبيب بالحسنى وإكرامه من طرف مخدومه من شأنه أن يحثه على الاجتهاد أكثر في علمه وعمله خدمة لذلك المخدوم من خلال السهر على حفظ صحته عليه ومعالجته من أمراضه بأقصى وُسعه.

الخاتمة

الخاتمة

يتطلب الحديث عن فلسفة الصحة والمرض أو المرض والصحة في الفلسفة، المرور عبر لحظة الحضارة الإسلامية، باعتبارها لحظة مفصلية وجوهرية في مسار الحقل السالف الذكر، حيث برز الكثير الفلاسفة الأطباء أو الأطباء الفلاسفة الذين تركوا بصمات واضحة فيما مجال الفلسفة والطب على حد سواء، ومن هؤلاء أبو بكر الرازي. موضوع بحثنا هذا الذي توصلنا منى خلاله إلى النتائج التالية:

- فلسفة الطب عند المسلمين ليست مجرد ممارسة طبية بل هي تجسيد لفهم عميق للإنسان بوصفه كائنا جسديا وروحيا وعقليا، وامتدد لفكر فلسفي شمولي متكامل يتعامل مع الصحة والمرض والعلاج ضمن رؤية كونية وأخلاقية. وقد تميزت هذه الفلسفة بالدمج بين الطب الإغريقي، الفلسفة الإسلامية، والعقيدة الدينية، ما أدى إلى ظهور نموذج طبي–فلسفي فريد في تاريخ الفكر الإنساني.
- برز الكثير من الأعلام في هذا الحقل ومن بينهم الرازي، الذي كانت فلسفته الطبية نموذجا علميا وأخلاقيا متقدما في تاريخ الطب، وتجلت هذه الفلسفة في أبهى صورها في كتبه وأبرزها: الحاوي، الطب الروحاني، المنصوري، أدب الطبيب.
- يمكن أن نلمس البعد الفلسفي للطب عند الرازي من خلال نظرته إلى الإنسان كوحدة متكاملة لا تفاضل بين عناصرها: الجسد، الروح، العقل، النفس، ومن ثمة لا تفاضل بين الطب الجسدي والطب الروحاني. وأيضا رفضه للطب القائم على الظن مؤكدا على التجربة والملاحظة كمعيار علمي للطب
- التصورات الأخلاقية والتي طوّق بها الرازي الممارسة الطبية وتأكيده على مسؤولية الطبيب العلمية والأخلاقية، تجعله في طليعة الفلاسفة الذين وضعوا الحجر الأساس لما بات يعرف اليوم بإتيقا الطب أو البيوتيقا.

الملاحق

✓ **ملحق رقم (01)**

قسم ابقراط

ربما كان قسم أبقراط أهم وثيقة طبية خلدت على مدى العصور حتى غدت للأطباء دستورا من حيث أنها تقرن الطب بالأخلاق نقدم القسم في صيغة الأصلية مترجما عن الإنجليزية، ثم في صورته كما عرضها العالم الإسلامي حيث امتزج بالروح الإسلامية وحذفت منه التعبيرات الوثنية.

أ- القسم في صيغته الأصلية:

أقسم بأبولو Apollo الحكيم وباسكليبوس Aesculappuis*، وهايجيا Hygia** وبزاسيا Panacea*** وأشهد كل الأرباب والربات على أن أبقى قدر استطاعتى محافظا على القسم الأتي:

"أن أعتز أشد الاعتزاز بمن علمني هذا الفن مثلما اعتز بولدي، وأن أظل مطيعا له ما حييت، وإن أقسم معه ما لديا من المال متى كان ذلك لازما، وأن أعني بأنبائه كأخوتي، وأن أعلمهم هذا الفن متى رغبوا دون أجر أو وعد مكتوب وأن القن عملي لأبنائي وأبناء أستاذي الذي علمني قواعد المهنة، وأن أبلغ تلاميذي الذين التحقوا بهذه المهنة نصائحي وإرشاداتي وأن أصف الدواء الناجع لمرضاي حسب قدرتي، وألا أضر أحدا وليس من أجل إرضاء أحد أصف دواء مميتا، ولا أعطي امرأة "البوسا" يسبب الإجهاض، وإنما أحافظ على طهارة حياتي ومهنتي وألا أشق عن من في مثانته حصى، وإنما أترك ذلك ليقوم به المتمرسون وألا أدخل أي بيت إلا لصالح المرضى وأن أتجنب أي فعل سيء وبخاصة ما يتصل بعشق النساء أو الرجال الأحرار منهم أو العبيد، وكل ما يصل إلى علمي أثناء ممارسة مهنتي أو

---

* اله الطب.
** ربة الصحة.
*** ربة الشفاء.

خارجهـا أو فـي اتصـالي اليـومي للنـاس ممـا لا يجـوز إذاعتـه فـإني أحـتفظ بـه سـرا مكنونا."

✓ **ملحق رقم (02)**

في أنه يجب أن يكون الطبيب الفاضل فيلسوفا ملخص مقالة جالينوس.

لقد ترجم كل هذا حنين بن إسحاق ووجد أن أبقراط قد أشار إلى تصنيف الأمراض بأنواعها وأجناسها مما يقتضي أن تدرب في صناعة المنطق*، وأما الأطباء أهل زماننا فإنه بلغ من بعدهم عن التدرب على المنطق أنهم يثلبون من تدرب فيه كأنه يتدرب فيما لا يعنيه.

وبسبب سوء التدبير الذي يتدبر به أهل زماننا ظنوا أن الغني أشرف من الفضلة ولذا لا نجد فيهم من على خدافة أبقراط مع أننا استفدنا مما وضعه القدماء وتداولناه زمنا كثيرا مما قد سهل علينا أن تعلم في سنين سيرة ما وضعه أبقراط في زمان كثير ، ولكن مادام الطبيب قد اعتبر الغني أشرف أشرف من القضية، وان صناعة الطب قد وضعت لاكتساب الأموال لا لمنفعة الناس، فإنه لا يمكن أن يبلغ في الطب شيئا، لأنه متى مال إلى المال فإنه لابد أن يستحق بالعلم ولمصلحة الناس وهذا ما نجد في أبناء زماننا. **

ولا أحد يحتاج إلى إقامة البرهان له على حاجة الأطباء إلى الفلسفة كلما يكون استعمالهم لصناعتهم ما ينبغي أما أهل الثروة من الأطباء فليسوا أطباء على الحقيقة ولكنهم مخادعون يستعمله دون صناعة الطب لضد ما قررت له، ولذا يجب أن يكون الطبيب الفاصل فيلسوفا لأنه يعرف عن المال لذا لابد أن تستعمل الفلسفة في الطب.[1]

* التطبيق: من مباحث المنطق تتحدد أسس وشروطه، في اصطلاح أرسطو القسمة الثنائية عند أفلاطون وللتطبيق أهمية في كثير من العلوم وبخاصة البيولوجية.

** زماننا أو أخر القرن الميلادي، جالينوس توفي 200م.

[1] المرجع نفسه ص 163.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم

2-المصادر

- أبو بكر محمد زكريا الرازي، كتاب التجارب مع دراسة منهج البحث العلمي عند الرازي، ج4، تحقيق ودراسة دكتور خالد حربي، الإسكندرية.
- أبو بكر الرازي، أخلاق الطبيب، تحقيق عبد اللطيف محمد العبد، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1977.
- الرازي، سر الأسرار، تحقيق محمد تقي، إيران، 1343 هـ.
- أبو بكر الرازي، رسالة الرازي، ج2، من مخطوط مارتن 156 (بودليان).
- أبو بكر محمد أبي زكريا الرازي رسائل فلسفية، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

3-المراجع

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت ـ لبنان، 1955.
- أحمد بت القاسم الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت ألمانيا الاتحادية، الطبعة بالقاهرة 299 هـ .
- اسحاق بن علي الرهاوي، أدب الطبيب، تحقيق، كمال السامرائي، مركز التحقيقات، إيران، ط1، 1992.
- الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت ـ لبنان، 1987
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.

- حكمت نجيب عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، جامعة الموصل، 1977.
- خالـد حرب، التجارب لأبي بكر الرازي مع دراسة في منهج البحث العلمي عند الرازي، 2006، دار الوفاء لدنيا الطبع والنشر.
- خضر عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب.
- دكتور أحمد شوكت الشطي، الطب عند العرب، مؤسسة المطبوعات الحديثة.
- راجي عنايت، أبو بكر الرازي أبو الطب العربي ومؤسس علم الكيمياء الحديثة" ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1976.
- زاهي حواس، الطب في مصر القديمة، صحيفة الشرق الأوسط.https://aawsat.com/home/article/722376
- عامر النجار، تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، دار المعارف، ط3، 1994.
- عبد الرحمن مرحبا: الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، منشورات عويدات، باريس ـ لبنان، ط2، 98،1988
- عبد اللطيف محمد العبد، أصول الفكر الفلسفي، مكتبة أنجلو المصرية، ط1، 1977.
- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دمشق، 1987.
- محمد بن محمد المختار الشـــنقيطي، أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، المجلد 1 ، مكتبة الصحابة، جدة ـ السعودية، ط2، 1994.
- محمد عزيزو، فلسفة الطب عن أبي بكر الرازي – في الإمكان والأفق–الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 17، العدد 01، 2025.
- محمد بن زكريا الرازي وعلي بن العباس وابن سينا، ثلاث رسائل عربية في التشريح، ترجمة فرنسية لبتري دي كونج، إعادة طبع نشرة ليدن 1963.

- محمد بن إسماعيل البخاري، الأدب المفرد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
- محمد عبد الحليم العقى طب الرازي دراسة وتحليل لكتاب الحاوي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- محمد جديدي: البيوتيقا مقاربة علمانية، مؤسسة دراسات وأبحاث قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، الرباط، 2015.
- محسن عقيل، الداء والدواء في طب القدماء، دار الرسول الأكرم.
- محمود دياب، الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة.
- محمود دياب، الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية .
- مصطفى لبيب عبد الغاني، في تاريخ العلوم عند العرب، ج1، منهج البحث الطبي دراسة في فلسفة العلم عند أبي بكر الرازي، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة الطبعة الثانية.
- معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، الطبعة الأولى، المجلد الأول، (د د ن)، 1986.

4- المواقع الإلكترونية:

- خالد حربي، أخلاقيات الطب في التراث، https://hiragate.com/28500/

الفهرس

فهرس الموضوعات

- ✓ الإهداء
- ✓ الشكر والتقدير

مقدمة.. .....أ

الفصل الأول: الطب في الحضارة العربية الإسلامية

أولا: تعريف الطب لغة واصطلاحا.....05

1. تعريف الطب لغة.....05
2. تعريف الطب اصطلاحا.....06
3. تعريف فلسفة الطب.....07

ثانيا: نشأة الطب وتطره في الحضارات القديمة 07

1. الطب في الحضارة المصرية.....08
2. الطب في حضارة الرافدين.....10
3. الطب في الحضارة اليونانية.....11

ثالثا: الطب في الحضارة العربية الإسلامية.....13

1. منزلة الطب عند المسلمين.....13
2. أبو الرازي الطبيب الفيلسوف.....16

الفصل الثاني: فلسفة الطب عند الرازي

أولا: مكانة الفلسفة عند الرازي.....23

ثانيا: منهج البحث العلمي عند الرازي.....26

ثالثا: من الطب الجسماني إلى الطب الروحاني 29

الفصل الثالث : أخلاقيات الطب عند الرازي

أولا: ماهية الأخلاق والبيوتيقا.....45

1. تعريف الأخلاق.....45

2. مفهوم البيوتيقا.....46

ثانيا: أسس البيوتيقا.....49

ثالثا: أخلاق الطب عند الرازي 51

- ✓ الخاتمة. 62
- ✓ الملاحق.....
- ✓ قائمة المصادر والمراجع.....
- ✓ فهرس المحتويات .....

الملخص

الملخص بالعربية

فلسفة الطب عند المسلمين تمثل إحدى الزوايا البارزة في الفكر الإسلامي الوسيط ، حيث لم يكن الطب مجرد ممارسة عملية بل كان مرتبط بنظرة شمولية للإنسان والعالم ، ويعد ابو بكر الرازي بن زكريا الرازي (ت 313هـ/ 529م) من أبرز النماذج في هذا المجال ، إذ جمع بين الفلسفة و الطب و الكيمياء و المنطق و الأخلاق .

ولقد كان من أوائل من إعتمدوا على النهج التجريبي في الطب فهو لم يكتف بترجمة كتب اليونان، بل أجرى الملاحظات الدقيقة للأعراض . ففي فلسفة الطب لم يفصل بين الفلسفة و الطب وكان يؤمن بأن الطبيب يجب أن يكون فيلسوفا ، لأن الطب ليس فقط علاجا للجسد ، بل توجيها لنفس الانسان و سلوكه و يقول الرازي في كتابه " الطب الروحاني ": { إن مداواة النفس من رذائل الاخلاق مثل مداواة الأبدان من الأمراض } ويرى أن الطبيب يجب أن يكون أخلاقيا ، متجردا عن الطمع ، حريصا على مصلحة المريض حتى ولو كان فقيرا أو لا يملك الاجرة .

خصص في كتبه فصولا حول كيفية تعامل الطبيب مع المرض و مع طلابه وعلى الرغم من تأثره بجالينوس ، لم يتردد الرازي في نقده وتصويب أرائه إذا رأى أنها غير منطقية أو غير مدعومة بالتجربة . وهذا يدل على إستقلاله الفكري و منهجه النقدي .

الكلمات المفتاحية: الطب، فلسفة الطب، أبي بكر الرازي، العلاج الفلسفي.

الملخص بالانجليزية

The philosophy of Medicine in islamic thought. Al Raz as a Model.

In islamic civilization medicine was not seen as an independent science but part of a holistic worldview. Muslim physicians, including

Al. Razi, were. influenced by breek thought – especially plata, Aristotle and Galen – but reinterpreted it within an islamic, ethical and spiritual framework Scientific and experimental method AL. Razi was among the fort to of apply the experimental method in medicine. He did not merely translate breck works but conducted his oven observations and experiments, differentiating diseases based on careful clinical observations example he famously conducted an experiment by placing pieces of meat in various pat parts of Baghdad to determine the best location for building a hospital based con how quickly the meat decayed AL. Raz, believed that a physician should also be. philosopher, 2, as medicine is not only about healing the body but also about guiding the soul an improving behavior.

Though influenced by Galen. AL-Razi was not hesitant to critique him – challenged Galen's theories when he found then logically inconsistent or lacking empirical evidence-demostrating AL-RAZI intellectual independence.

Keywords: Medicine, Philosophy of Medicine, Abu Bakr Al-Razi, Philosophical Treatment.